الحبر الدامي

الطبعة الأولى
1446 هـ
2025 م

اسم الكتاب: الحبر الدامي
التأليف: فاطمة محسن أحمد
موضوع الكتاب: رواية
عدد الصفحات: 136 صفحة
عدد الملازم: 8.5 ملازم
مقاس الكتاب: 17x24
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2024/3202
الترقيم الدولي: 978-977-6697-911

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

hakayaproduction@gmail.com
01551751909 _ 01096476744

الحبر الدامي

رواية

فاطمة محسن أحمد

إهداء

إلى يمنى عصام...

الصديقة الجميلة التي كانت خير داعم لي...

إلـى التـي كانت تقول لي "سـأنتظر روايتك لأقرأها بكل حـب"، لكن الموت حال دون تحقيق هذه الأمنية.

رحلـتِ يا يمنى، تاركـةً خلفكِ فراغًا كبيـرًا، لكن ذكراكِ الجميلة مـا زالت حية في وجداني، ووجدان كل من يحبونكِ.

أهديـكِ هذه الرواية التي كنـتِ تنتظرينها، وأتمنى أن تُشـاركيني فرحة إنجازها من عليائكِ.

رحمكِ الله يا حبيبتي وجمعنا بكِ في الجنة.

الصحفية

٢٠١٦/١/١١

«مفاجأة جديدة في قضية الطفل رامي عادل الذي توفي في العاصفة الثلجية التي هبت بسانت كاترين الأسبوع الماضي... هل لمدربه يد فيما حدث؟»

جرت عينا الكابتن كمال رجب على أسطر المقال الموقع باسم الصحفية ألفت صابر، وهو يغلي غضبًا...

لقد عانى أيامًا عصيبة منذ وقوع تلك الحادثة ما بين تحقيقات الشرطة والنيابة، وتوفي والده _إثر ذلك_ بذبحة صدرية، وكأنّ كل ذلك لم يكن كافيًا، حتى انهال عليه الصحفيون بمقالاتهم اللاذعة والاتهامات المُدمرة... ولا عجب، فذلك الطفل رامي الذي توفي نتيجة ذلك الحادث المأساوي صار شخصية مشهورة قبل فترة قصيرة، فرغم إصابته بمتلازمة داون، تحدى إعاقته، ومارس رياضة التزلج على الجليد بانتظام تحت إشراف الكابتن كمال رجب، حتى نال بطولة عالمية في هذه الرياضة...

هكذا لمع اسم الكابتن كمال رجب مدرب رياضة التزلج على الجليد، وانهمرت عليه العروض من نوادي محلية وعالمية للعمل فيها، لكنه اختار البقاء في عمله، برفقة تلاميذه وزملائه كما صرح للصحافة حينها، دون أن يخبرهم بالسبب الحقيقي وراء ذلك.

كانت الأمور تسير على ما يرام، حتى الأسبوع الماضي، عندما وقع ذلك الحادث الأليم...

لقد انقلبت حياته رأسًا على عقب طوال الأيام الماضية، بسبب الحملة الهوجاء التي شنها عليه الصحفيون، وعلى رأسهم الصحفية ألفت صابر التي ألمحت في مقالاتها إلى أنه قتل رامي عمدًا، وحوّلت الحادث إلى قضية رأي عام، ليصير اسمه على كل لسان،

وتنهال عليه الشتائم واللعنات في كل مكان... وها هو الآن قد فُصل من عمله، وفي انتظار بتِّ القانون في أمره...

ألقى الصحيفة بسخط على الأرض، وهتف في غضب: ماذا تريد تلك الصحفية الحقيرة؟ ألم يكفها كل ما يحدث لي؟ لماذا لا تبحث عن أحد غيري لتجعله هدفًا لحملاتها المسعورة؟! ليتها تموت وتريح العالم من شرورها.

قالها، ثم ضم قبضته بقوة، والتمعت عيناه بكراهية شديدة.

***

٢٠١٩/٥/٢٦

اقتحمت الصحفية ألفت صابر مكتب رئيس تحرير جريدة خبر عاجل، وهي تقول بانفعال شديد: سيد عصمت... سيد عصمت.

هب عصمت قاسم من مكانه هاتفًا بغضب: ما هذا؟! كيف تجرؤين على اقتحام مكتبي هكذا؟!

لوَّحت بيدها اليسرى باستخفاف، وقالت في برود: هذا الكلام ينطبق على غيري من الصحفيين، لا عليّ.

همَّ بقول شيء ما، إلا أنها أشارت بيدها لتقاطعه، وقالت باهتمام شديد: أتذكر حادثة الطفل رامي عادل التي وقعت قبل أكثر من ٣ سنوات؟

تلاشى غضب عصمت فجأة، وقد جذب كلام ألفت اهتمامه، وقال: بالطبع... من ذا الذي ينساها؟

_ ما رأيك لو أخبرتك أن لدي معلومة جديدة ستعيد تلك القضية إلى الصدارة، وستشعل الرأي العام مجددًا؟ هذه المعلومة كفيلة بفتح تحقيق واسع سيحتل الصفحة الأولى من الجريدة حتمًا.

كانت ألفت نحيلة القوام، طويلة القامة، تصبغ شعرها بلون أحمر ناريٍّ لافت للنظر، وتغطي وجهها بطبقة كثيفة من مستحضرات التجميل التي تفاعلت مع لون شعرها، وملابسها المبهرجة القصيرة، وعينيها الجاحظتين لتضفي عليها مظهرًا مخيفًا...

امتعض عصمت وهو يتخيل صورة ألفت بمنظرها الغريب، متصدرة الصفحة الأولى لجريدته بجانب تحقيقها الصحفي، إلا أنه كتم مشاعره هذه، وتنحنح قائلًا في حذر: أية معلومة هذه؟

لوحت بيدها مجددًا، وقالت: سأخبرك بها عندما أتأكد منها... المهم أنني سأبدأ التحقيق في هذا الأمر على الفور.

عاد الغضب يكسو ملامح عصمت وهو يقول: لا يا ألفت، أي حديث في هذا الأمر سيكون مستهلكًا، ولن يحقق أي فائدة تُرجى لنا، بل قد يتهمنا الناس بأننا نلجأ إلى فتح القضايا القديمة، لأنه ليست لدينا موضوعات جديدة.

أشعلت سيجارة، ونفثت دخانها في الهواء، ثم قالت: جربني إذًا، ولن تندم.

طرق عصمت بقبضته على سطح المكتب، وهتف: قلت لا يا ألفت.

تنهدت ألفت، وقالت ببرود: إنك لم تترك لي الخيار إذًا.

قالتها وهي تخرج مجموعة من الصور من حقيبة يدها، لتلقيها على مكتب عصمت، دون أن تنبس ببنت كلمة...

امتقع وجه عصمت عندما رأى الصور، وبدا ذاهلًا مذعورًا وهو يقول دون أن يرفع عينيه عن الصور: من أين حصلتِ على هذه الصور؟

حكت له باختصار طريقة حصولها على الصور، فرفع عينيه إليها، وهو يقول بغضب شديد: أتهددينني إذًا؟!

أطلقت ألفت ضحكة عابثة، وهي تلوح بسيجارتها، ثم اتجهت نحو باب المكتب وفتحته، قبل أن تلتفت إليه قائلة بنفس اللهجة الساخرة: أظنك لا تمانع الآن، أليس كذلك؟

غـادرت الغرفـة وهـي تضحـك دون توقـف، فهب عصمـت واقفًا، ومـزق الصور بغضب هادر، وألقاها في سـلة المهملات، ثم قال بلهجة جمعت بين الكراهية والغضب: تلك الحقيرة...

أخرج من درج مكتبه مسدسًـا، صوبه نحو الباب المغلق حيث غادرت ألفت، وقال: لقد وضعت نهايتها بنفسها.

***

٢٠١٩/٦/٩

جلـس النقيـب يسري مصطفى على كرسي مكتبه، يرتشـف فنجانًا مـن القهوة، وهو يقرأ ملف قضية وفاة الممثلة ريهام حسني الغامضة منذ شهرين...

كانـت تلـك القضية قد تولاها زميل مكتبه النقيب فوزي البحراوي، لكنه لم يسـتطع أن يكشف الغموض الذي أحاط بالقضية، أو أن يصل إلى الحقيقة وراء وفاة الممثلة، لذا قَبِل بعرض يسري لمساعدته، وترك له ملف القضية قبل أن يسافر لقضاء إجازة العيد...

أخرج يسري دفتر ملاحظاته الصغير من درج مكتبه، ليكتب فيه ملخصًا لما قرأه:

"لقـد شـغلت الممثلـة ريهام حسـني الرأي العـام قبل عدة أشـهر، بعـد أن انفصلت ريهـام عـن زوجها الممثل ماجد جلال، لتدخل معه في نزاعات قضائية تخللتها الكثير من الفضائح المتبادلة بين الزوجين، والتي صارت مادة دسـمة للإعلام ولوسـائل التواصل الاجتماعي، حتى توفيت الممثلة ريهام بعد سـقوطها من سـطح عمارتها التي انتقلت إليها مؤخرًا بعد أن خسرت قضاياها لصالح زوجها السابق...

شـكّت الشرطة في وجود شـبهة جنائية في الحادث، بسـبب قيام أحدهم بإحراق شقة الممثلـة بعـد أن سـقطت تلـك الأخيرة من سـطح عمارتهـا، وكان من الطبيعـي أن تتجه الشـبهات نحـو ماجد جلال، إلا أن ذلـك الأخير كانت لديه حجة غيـاب قوية، إذ كان

يصور أحد أفلامه، ووصلت القضية في النهاية إلى طريق مسدود".

سجل يسري قائمة الأدلة التي عثرت عليها الشرطة في مسرح الجريمة وشهادات الشهود، والطبيب النفسي الخاص بالممثلة ريهام، ثم أغلق ملف القضية، وتطلع إلى الفراغ بشرود لعدة دقائق، قبل أن يلتفت إلى مساعده الملازم أحمد الذي انهمك في قراءة جريدة، وقال باهتمام: أحمد.

اعتدل الملازم أحمد من فوره، وأغلق الجريدة وهو يقول: نعم يا سيادة النقيب.

_ هل تابعت قضية الممثلة ريهام حسني؟

بدت الدهشة على وجه أحمد وفي صوته وهو يقول: بالطبع، لم يكن لوسائل الإعلام وقتها حديث إلا عن تلك القضية.

ابتسم يسري ابتسامة باهتة، وقال: اه، نسيت أنك متابع جيد للأخبار.

عادت ملامحه إلى جديتها، وهو يردف: ما رأيك في تلك القضية إذًا؟ من تظنه الجاني؟

_ الجاني؟! ما الذي يعنيه هذا؟! ألم تنتحر تلك الممثلة؟!

_ هذا ما تشير إليه الظروف التي أحاطت بوفاة الممثلة، لكن ملف القضية يتضمن الكثير من الأمور المبهمة.

عقد أحمد حاجبيه وهو يقول: هل اطلعت على ملف القضية يا سيادة النقيب؟

لوح يسري بملف القضية، وقال: لقد حصلت على الملف من النقيب فوزي البحراوي... القضية معقدة حقًا، وهناك الكثير من الاحتمالات التي قد تفسر وفاتها الغامضة، لكنني أعتقد أنها قُتلت.

قال أحمد في اهتمام شديد: ما الذي يجعلك تعتقد هذا يا سيادة النقيب؟

وضع يسري ملف القضية على مكتبه، وصمت لحظات مفكرًا، ثم التفت إلى أحمد مجددًا، وقال: الممثلة ريهام أُجبرت على اعتزال التمثيل بعد أن وقع بينها وبين كبير

المخرجين فهمي محفوظ شجار عنيف... لقد تجاهلها المخرجون بضغط من ذلك المخرج، ولم تعد تظهر على الشاشة، حتى زوجها لم يستطع أن يفعل لها شيئًا... تلك الممثلة كانت مهووسة بالشهرة، حتى إنها أُصيبت بحالة نفسية بعد أن تراجعت شهرتها، كما أدلى طبيبها النفسي في التحقيقات بعد وفاتها، حتى إنه لم يستبعد أنها تعمدت الانفصال عن زوجها، وإثارة تلك الفضائح بينهما، وذلك لترجع إلى الأضواء مجددًا.

اتسعت عينا أحمد بدهشة، وقال: ألهذه الدرجة؟!

أومأ يسري برأسه، وقال: وأكثر من ذلك... جنون الشهرة قد يدفع الإنسان إلى فعل أمور لا يصدقها عقل، وشخصية كهذه لن تقدم على الانتحار، حتى لو خسرت كل شيء، فهي ستجد حتمًا وسيلة لاستعادة ما فقدته.

أومأ أحمد بدوره دون أن يجيب، فاستطرد يسري: صحيح أنني لم أحقق في قضية الممثلة تلك، لكنني واثق من أن مفتاح تلك القضية يكمن في الأشياء التي عُثر عليها في مسرح الجريمة، ولم تجد لها الشرطة تفسيرًا، كالعلامة التجارية لشركة (كانون) التي عُثر عليها بالقرب من موقع سقوط الممثلة، فهل وقعت من أحدهم، أم لها علاقة بالقضية؟

وهناك أيضًا ذلك الطاقم الماسي الذي كانت ترتديه الممثلة وقت وفاتها... لم يعثر رجال الشرطة على القرط الأيمن من الطاقم، فهل ضاع منها؟ أم سقط في أثناء وقوعها؟ وإذا كان كذلك، فلماذا لم يعثروا عليه؟ ثم من أين حصلت على ذلك الطاقم الثمين الذي يُقدر بملايين الجنيهات رغم أنها أفلست كما أفادت التحقيقات؟ لقد حاول رجال الشرطة تتبع المشتري، لكن يبدو أن من قام بعملية الشراء قد استخدم بيانات زائفة، ولم يستطيعوا الوصول إلى شيء.

همّ أحمد بقول شيء ما، عندما ارتفع رنين هاتف المكتب، فالتقط يسري السماعة، ووضعها على أذنه، قائلًا بلهجة رسمية: النقيب يسري مصطفى.

جاءه صوت رئيسه العقيد مسعد إبراهيم قائلًا بصرامة: اسمعني أيها النقيب، هناك قضية عاجلة أريدك أن تتولاها.

وقف يسري وهو يقول في اهتمام: أية قضية هذه؟

_ إنها الصحفية ألفت صابر... يبدو أنها قد قُتلت.

***

أنهى يسري مكالمته مع العقيد مسعد، ثم التفت إلى أحمد، وقال بحزم: إنها قضية جديدة.

هبَّ أحمد من مقعده، وهو يهتف في حماس: حقًا؟ ما نوعها؟

_ يبدو أنها جريمة قتل، والضحية هي صحفية تدعى ألفت صابر.

ارتسمت الدهشة على وجه أحمد، وهو يهتف: ماذا؟! الصحفية ألفت قُتلت؟!

انعقد حاجبا يسري، وقال: هل تعرفها؟

_ ألا تعرفها يا سيادة النقيب؟! إنها ألفت التي يُطلق عليها صحفية الفضائح!

ارتسم شبح ابتسامة على شفتي يسري، وقال: أنت تعلم أنني أكره قراءة الجرائد.

ابتسم أحمد ابتسامة واسعة، وقال بمرح: بالرغم من أن شقيقك صحفي!

ضحك يسري وقال: هذا سبب للمشاكل دائمًا بيننا.

ضحكا معًا بمرح، ثم قال يسري بجدية وهو يلتقط دفتر ملاحظاته: فلنسرع الآن إلى مسرح الجريمة، ولتخبرني ونحن في الطريق بما تعرفه عن تلك الصحفية، فمن يدري... ربما تفيد أية معلومة في كشف حقيقة هذه القضية.

ما إن انطلق أحمد بالسيارة حتى قال ليسري: حسنًا، كل ما أعرفه عنها مصدره الجرائد، فهي صحفية دأبت على تحويل قضايا عادية إلى قضايا رأى عام، فتضيف إليها بعض الاحتمالات والافتراضات بما يسهم في إشعال تلك القضايا بشكل غير متوقع، بل لقد اتهمها البعض بأنها تعمدت استهداف بعض الشخصيات المعروفة، وحولتهم إلى قضايا رأي عام، حتى إنها دفعت رجلًا إلى الانتحار قبل أن تتبين براءته، بعد أن دمرته بمقالاتها.

انعقد حاجبا يسري وقال باهتمام: هل تعرف تفاصيل تلك القضية؟

هز أحمد رأسه نفيًا، وقال بأسف: في الواقع لا أتذكر، لقد كان ذلك منذ عدة سنوات.

صمت يسري مفكرًا برهة، ثم قال: حسنًا أكمل.

صمت أحمد بدوره لحظات ليسترجع ما يعرفه عن ألفت، ثم قال: الغريب أنها بارعة جدًا في استخدام الكلمات، حتى إن أحدًا لم يتمكن من مقاضاتها، بالرغم من أنها كانت تشير بأصابع الاتهام إليهم، وتدمر سمعتهم تدميرًا، تمامًا كما حدث في قضية الكابتن كمال رجب.

همّ يسري بسؤاله عن قضية كمال رجب، عندما اتسعت عينا أحمد فجأة، وقال بلهجة توحي بخطورة الأمر: يا إلهي!

_ ماذا هناك؟

_ الصحفية ألفت نشرت الأسبوع الماضي مقالًا من سطرين، حيث ذكرت أنها بصدد الكشف عن معلومة خطيرة ستعيد التحقيق في قضية الطفل رامي عادل.

عاد حاجبا يسري ينعقدان وهو يقول باهتمام: الطفل رامي عادل؟ أليس ذلك هو الطفل المصاب بمتلازمة داون، والذي مات في حادث بسانت كاترين، بحسب ما أتذكر؟

_ هذا صحيح يا سيادة النقيب، وقد تورط مدربه كمال رجب في تلك الحادثة التي وقعت قبل ٣ سنوات ونصف... يبدو أنك تابعت تلك القضية.

قال عبارته الأخيرة بشيء من الخبث، فارتسمت على شفتي يسري ابتسامة باهتة، وقال: أنا أتابع فقط القضايا التي تفيدني في عملي، لكن تلك القضية أثارت ضجة كبيرة، وكان من المستحيل ألا تسمع عنها، أو تنساها... لقد كانت قضية مأساوية.

أومأ أحمد برأسه في أسى، وساد الصمت بينهما لحظات، قبل أن يقول يسري باهتمام شديد: لم تخبرني، أية معلومة تلك التي ستعيد التحقيق في قضية الطفل رامي؟!

هز أحمد رأسه وقال: لا أدري، فالصحفية لم تذكر شيئًا عن ذلك، لكن من المؤكد أنها كانت ستنشر مقالة الأسبوع القادم عن ذلك الأمر.

وصلا في تلك اللحظة إلى حدود منطقة قيد الإنشاء في ضواحي مدينة نصر، فأوقف أحمد السيارة وهو يشير إلى خريطة هاتفه، حيث توقفت إشارة خريطة جوجل عند هذه المنطقة، وقال: لقد وصلنا.

تطلع يسري إلى سيارات الشرطة التي ملأت المكان، وغمغم: نعم، هنا مسرح الجريمة.

***

وقف النقيب يسري والملازم أحمد يتطلعان إلى جثة ألفت التي وضعها رجال الشرطة على محفة... كانت ترتدي فستانًا أحمرًا قصيرًا بنصف كم، وقد سالت الدماء من جرح في جانب رأسها...

هتف أحمد بدهشة واستنكار: أهذه هي الصحفية ألفت؟!

جال يسري ببصره في المنطقة قيد الإنشاء، حيث كانت الإضاءة شاحبة تنبعث من أعمدة إنارة متباعدة، لكنها تحولت إلى نهار بفضل كشافات الشرطة القوية، قبل أن ينتقل ببصره إلى رجال المعمل الجنائي الذين يفحصون المكان، ثم ارتدى قفازًا مطاطيًا، ومال على الجثة يفحصها بعناية... لفت انتباهه آثار خدوش على معصم يدها اليسرى التي كانت مضمومة بقوة، كان من الواضح أن هناك شيء ما في يدها، ففتحها بحذر، عندما عثر تحت أظافرها على ألياف جلدية سوداء رفيعة...

دارت فكرة واحدة في ذهن يسري: هل كانت القتيلة تمسك بشيء ما قبيل وفاتها؟ شيء انتُزع من يدها، فبقيت هذه الألياف تحت أظافرها لتدل عليه؟

وقف يسري بعد أن أنهى فحص الجثة، ثم التفت إلى ضابط النجدة الذي تلقى البلاغ بالحادث، وقال بصرامة: ماذا حدث بالضبط؟

تنحنح الضابط، وقال: لقد تلقينا بلاغًا يفيد بسقوط سيدة في قاعدة بناية في هذه المنطقة، فجئنا مع رجال المعمل الجنائي إلى هنا، وأخرجنا الجثة، ولا زلنا نفحص المكان.

_ من الذي أبلغ عن الحادث؟ ولماذا قلت في بلاغك أنك تشتبه بأنها جريمة قتل؟

_ الذي أبلغ عن الحادث أو الجريمة هو أحد العمال هنا... سأستدعيه لك حالًا، وهو سيخبرك بما حدث.

قالها وهو يشير إلى أحد الجنود الذي غادر المكان من فوره، فقال يسري: حسنًا، وأريد أيضًا الحديث مع أحد رجال المعمل الجنائي هنا.

_ حالًا يا سيدي.

ما هي إلا لحظات حتى كان أحد رجال المعمل الجنائي يقف أمام يسري الذي بادره قائلًا: أريد أن أعرف رأيك الأولي في هذا الحادث.

قال الرجل بلهجة عملية: من خلال معاينة موقع السقوط، وجدنا أن الضحية قد سقطت على ظهرها من ارتفاع ٥ أمتار في قاعدة بناية رملية، لم تكن هناك أي عقبات أو حواجز في المنطقة المجاورة للسقوط، ربما قد زلت قدمها بشكل مفاجئ، واصطدم رأسها بأحد الصخور في قاعدة البناية، فلقيت مصرعها، لقد سقطت قريبًا من طرف قاعدة البناية، في العادة عندما يتم دفع الضحية فإنها تسقط أبعد من ذلك، لكننا وجدنا آثار خدوش تثير الشك على معصم يدها اليسرى، وإذا أضفنا إلى ذلك أن أحد الشهود أفاد بسماعه أصوات شجار في هذه المنطقة، فربما نكون أمام جريمة قتل... لا يمكننا تأكيد أي من هذه الاحتمالات بشكل قاطع في هذه المرحلة، نحتاج إلى جمع المزيد من الأدلة لتحديد ما حدث للضحية بدقة، وسنرسل الجثة إلى الطب الشرعي لفحصها وتشريحها.

أومأ يسري برأسه مؤيدًا، وقال: هل فحصتم آثار الأقدام حول قاعدة البناية؟

هز رجل المعمل الجنائي رأسه، وقال: هذا لن يجدي، لقد أفسد العمال المكان بالفعل قبل وصولنا.

تنهد يسري بضيق، ثم قال: هل عثرتم على أي شيء مع الضحية؟

أشار رجل المعمل الجنائي إلى متعلقات الضحية التي وُضعت على طاولة خشبية صغيرة قابلة للطي، وقال: لقد وجدنا حقيبة ظهر كبيرة على حافة قاعدة البناية، على الأرجح أنها تعود للضحية، كانت الحقيبة مفتوحة، وقد عثرنا بداخلها على مبلغ ٥٠٠٠ جنيه وبطاقة ائتمان، وبطاقتها الشخصية، ورخصة القيادة، وبطاقة عضوية نقابة الصحفيين، وهاتف محمول، وأدوات تجميل، وعلبة مناديل، ومجموعة مفاتيح، وعلبة سجائر، وعدد من الأقلام، وكاميرا، إلى جانب زجاجة ويسكي.

ارتسمت الدهشة على وجه يسري وهو يقول: ويسكي!

_ أجل، هذا كل ما عثرنا عليه، ولم نجد سوى بعض النفايات في سيارتها التي تركتها خارج هذه المنطقة.

ألقى يسري نظرة سريعة على ممتلكات الضحية، ثم التقط بطاقتها، ليعلم منها أن ألفت امرأة مطلقة، تبلغ من العمر ٤٤ عامًا، فسجل بيانات البطاقة في دفتر ملاحظاته، ثم التفت إلى رجل المعمل الجنائي، وقال: هل فحصتم هاتف الضحية؟ هل يمكننا أخذه؟

أومأ رجل المعمل الجنائي برأسه، وقال: بالتأكيد.

شكر يسري رجل المعمل الجنائي، واستلم منه هاتف الضحية، وأعطاه للملازم أحمد قائلًا: أريد قائمة باتصالات الضحية خلال الأسبوع الأخير من حياتها، وأريد فحص مذكرة الهاتف، وتطبيقات المراسلة، ووسائل التواصل الاجتماعي، فربما نعثر على شيء يفيدنا في هذه القضية، واطلب من رجالنا البحث عن شهود في المنطقة، والتحقق مما إذا كانت هناك أي كاميرات مراقبة حول هذه المنطقة.

أومأ أحمد برأسه، وقال بحزم: أمرك يا سيادة النقيب.

كان السؤال الذي يشغل بال يسري في تلك اللحظة هو: ما الذي كانت تفعله الصحفية ألفت في مكان كهذا؟

افترض أنها كانت في طريقها إلى المنطقة المجاورة أو عائدة منها، لأنه عندما ألقى نظرة على خريطة جوجل، اكتشـف أن المنطقة المجاورة هي المكان الوحيد الذي يقود إليه هذا الطريق، وهذا يقوده إلى سؤال آخر: ما الوجهة التي كانت تقصدها الصحفية؟

ثـم لماذا تركت حقيبتها مفتوحة على حافـة قاعدة البناية، هل كانت تريد إخراج شيء ما من الحقيبة؟ وما هو ذلك الشيء؟

تقـدم منه الضابط الذي تلقى البلاغ ومعه عاملان شـابان يبـدو عليهما الاضطراب، وقال مشيرًا إلى أحدهما: هذا هو العامل الذي أبلغ عن الحادث يا سيادة النقيب.

تقـدم يـسري نحوهما، وحيّا العاملـين حتى أزال الخوف عن نفسـيهما، ثم قال بهدوء مخاطبًا العامل المقصود: أخبرني بما حدث بالضبط.

أومأ العامل برأسـه، واندفع يقول بانفعال شـديد: نحن بصدد إنشـاء مشروع سكني في هذه المنطقة... لقد بدأنا فيه منذ ٤ أشـهر، ووضعنا الكثير من الإشـارات التحذيرية، هذا ليس ذنبنا.

ابتسم يسري ابتسامة باهتة، وقال: أنا لا أوجه إليكما أي اتهام، فقط أريد أن أعرف ما حدث قبل أن تكتشفا الجثة.

ازدرد العامل لعابه وقال: كنت أجلس مع زميلي نتناول العشـاء... نحن وحدنا هنا، لأن بقية العمال يعملون في موقع آخر قريب من هذه المنطقة... كان كل شيء على ما يرام، عندما سمعت فجأةً أصوات شجار، لقد أخبرت زميلي بذلك، لكنه قال بأنني واهم، ثم سمعنا صرخة عالية، وصوت ارتطام، فهرعنا إلى هنا، و...

ارتجف جسده بشدة وهو يقول: كان ذلك فظيعًا، بل أفظع شيء رأيته في حياتي.

_ متى سمعت تلك الصرخة؟

_كانت الساعة السابعة والنصف بالضبط.

_ هل أنت واثق؟

_أجل، لأنني ضبطت منبه هاتفي على ذلك الموعد، حتى أتناول دوائي.

_ كم استغرق وصولكما إلى هنا منذ سماعكما الصرخة؟

_لقد استغرقنا بعض الوقت، لأن الأرض ليست ممهدة بسبب أعمال البناء، لكنني لا أعرف متى وصلنا بالضبط.

_ ماذا فعلتما بعد ذلك؟

_ استدعينا زملاءنا من الموقع الآخر من أجل مساعدة الضحية، ولكن رئيسنا طلب منا إبلاغ الشرطة.

أومأ يسري برأسه ببطء، وسجل كلام العامل في دفتر ملاحظاته، ثم صمت لحظات مفكرًا، قبل أن يقول: أعتقد أنكما افترضتما بأن أحدًا دفع المرأة إلى حتفها، ألم تحاولا البحث عن ذلك الشخص أو وجدتم شخصًا قريبًا من هنا؟

قال العامل الآخر بخجل: لقد كان الأمر صادمًا لدرجة أننا لم نفكر بذلك حينها... كان تفكيرنا منصبًا على جثة هذه المرأة المسكينة.

تنهد يسري بعمق، ثم قال: سؤال أخير، هل لمستما حقيبة الضحية؟

هزا رأسيهما نفيًا بقوة، وقالا: لا، أبدًا.

أومأ يسري برأسه، وقال: حسنًا، شكرًا لكما.

غادر يسري المكان، وعاد إلى سيارته، عندما وجد أحمد يهم بالخروج من السيارة، وما إن وقعت عيناه على يسري حتى قال بلهفة: سيادة النقيب، كنت سأذهب إليك حالًا.

قال يسري باهتمام: ماذا هناك؟

_ أتعلم من الذي يعيش في المنطقة المجاورة لهذه المنطقة؟

_من؟

ـ إنـه المـدرب كمال رجـب، وقد اتصلت بـه الصحفية ألفت أكثر مـن مرة على مدار الأسـبوع الأخير من حياتها، كان آخرها في السـاعة السادسـة والنصف مساء هذا اليوم.

***

مأساة سانت كاترين

أشـارت عقارب الساعة إلى العاشرة والنصف مساءً، عندما أخذ المدرب كمال رجب يذرع غرفة الاسـتقبال في منزله ذهابًا وإيابًا في توتر ملحوظ، وهو يتطلع إلى السـاعة كل لحظة وأخرى...

كانـت هناك عشرات الأفكار والأسـئلة تشـتعل في رأسـه، وكلها تتعلـق بالصحفية ألفت صابر التي بدت له كشيطانٍ مُصرٍّ على تحطيم حياته...

لم يعـد يحتمـل كل هذا الضغط، يجب أن يتصرف قبـل أن تدمر الصحفية ألفت حياته للمرة الثانية، ولكن كيف؟

شعر بصداع شديد مع عجزه عن إيجاد حل لتلك المشكلة، فجلس على الأريكة، وهو يتنهد بعمق محاولًا السيطرة على أعصابه، ثم التقط هاتفه، وهمّ بإجراء اتصال ما، عندما ارتفع رنين الجرس فجأة، فرفع رأسه إلى الباب بحدة، قبل أن يتجه إليه، ويفتحه بعنف، ثم توقف مندهشًا وهو يتطلع إلى الشابين اللذين وقفا ببابه، حيث بادره أحدهما قائلًا في حزم: أأنت السيد كمال رجب؟

كان كمال شـابًا في الثلاثين من عمره، طويل القامة، بهيَّ الطلعة، يتمتع بقوام رياضي يتناسب مع طبيعة عمله، حملت ملامحه في تلك اللحظة تعبيرًا يجمع بين العصبية والتوتر وهو يتطلع إلى الشابين اللذين لم يكونا سوى النقيب يسري والملازم أحمد... انعقد حاجبا كمال وهو يقول بعصبية: أجل، من أنتما؟ هل أرسلتكما تلك الصحفية؟

تبادل الضابطان نظرة صامتة ذات معنى، ثم أبرز يسري بطاقة الشرطة، وهو يقول بصرامة: النقيب يسري مصطفى من المباحث الجنائية... لدينا بعض الأسئلة نود طرحها عليك.

تراجع كمال خطوة إلى الوراء بتوتر، وقال باضطراب: المباحث الجنائية؟! ماذا تريدون مني بالضبط؟

قال يسري بهدوء: أليس من الأفضل أن نتحدث بالداخل؟

أفسح كمال الطريق، وهو يقول بتوتر: بالطبع، تفضلا.

كانت الشقة جديدة تمامًا، وكأن كمال انتقل إليها لتوه، وبدت غرفة الاستقبال مثالًا للأناقة والفخامة والذوق الرفيع، فكان الأثاث من النوع الإيطالي الفاخر، ويكسو الأرضية الخشبية سجاد تركي أنيق، في حين بدت الجدران مطلية حديثًا، تزين إحداها لوحة كبيرة لمنظر طبيعي خلاب، بينما عُلِّق على الجدار المقابل صورة فوتوغرافية تجمع المدرب كمال مع طفل مصاب بمتلازمة داون، يرتدي ملابس التزلج، وتتدلى من عنقه ميدالية ذهبية، وتقف بجانبه سيدة شابة تبدو سعيدة، وهي تحيط كتفي الطفل بذراعها، وتلوح بيدها الأخرى بعلامة النصر، وفي نهاية غرفة الاستقبال كانت هناك شرفة مفتوحة، ينبعث من خلالها نسيم لطيف يخفف من حرارة تلك الليلة الخانقة.

جلس يسري وأحمد على الأريكة، بينما جلس كمال على الكرسي المقابل لهما، وقال بتوتر ملحوظ: ماذا هناك؟

أخرج يسري قلمه ودفتر ملاحظاته، ثم تطلع إلى كمال بنظرة ثاقبة، قائلًا: هل كنت في انتظار أحد يا سيد كمال؟ لقد قلت بأنك في انتظار صحفية، أليس كذلك؟

بدا الضيق على وجه كمال وفي صوته، وهو يقول: هذا صحيح، إنها الصحفية ألفت صابر.

قال يسري بدهشة مصطنعة: الصحفية ألفت؟! أليست هي من كتبت مقالة الأسبوع الماضي، تتحدث فيها عن الحادث الذي تورطت فيه، وتسبب في موت الطفل رامي عادل؟

مسح كمال عرقًا وهميًا عن جبينه، وقال بضيق: أجل، إنها هي.

مال يسري نحوه، وتطلع إلى عينيه، وقال بهدوء: هل لك أن تخبرنا عن ذلك الحادث؟ أعلم أنك قلت كل ما لديك وقتها في التحقيقات، لكننا نريد أن نسمع منك مجددًا.

أطلق كمال زفرة ملتهبة، وصمت لحظات، ثم قال بأسى: منذ ٨ سنوات، أي عندما كنت في الثانية والعشرين من عمري، عملت مدربًا لرياضة التزلج على الجليد، وقد تفوقت في هذا المجال، وقمت بتدريب المئات من بينهم من أحرزوا بطولات مهمة، لكني لم أنل شهرة حقيقية، إلا عندما نال أحد تلاميذي وهو الطفل رامي عادل المصاب بمتلازمة داون بطولة عالمية في التزلج...

لقد أصبحتُ حديث الصحافة والإعلام، باعتباري مدرب الطفل المعجزة، كما أطلقوا على رامي... وتقدمت كثيرًا في حياتي المهنية، حتى إنني تلقيت العديد من العروض للعمل في نوادي عالمية، لكن لم يمضِ الكثير من الوقت حتى انقلب كل شيء، فقد اصطحبت عددًا من تلاميذي للتزلج على الجليد في سانت كاترين، وأقمنا معسكرًا هناك، كان كل شيء يسير على ما يرام، واتبعت كل قواعد السلامة المتعلقة بالتزلج، لكن في إحدى الليالي، وبينما كنا نائمين، تسلل رامي من المعسكر ليتزلج على الجليد، و...

ازدرد لعابه بصعوبة، ثم تابع: وهبت تلك العاصفة، كانت عاصفة عنيفة لم تشهدها سانت كاترين من قبل، حتى الأرصاد الجوية لم تتنبأ بها... عندما اكتشفت ما حدث، هرعت من فوري للبحث عن رامي، واتصلت بالنجدة، ولكن...

تطلع إلى صورة الطفل المصاب بمتلازمة داون، المعلقة على الحائط، قبل أن يشيح بوجهه في ألم، ويستطرد بمرارة: عندما وصلنا إليه، كان رامي في النزع الأخير، لقد سقط من فوق أحد الصخور، وفقد الوعي وسط الجليد، و...

ارتجف صوته بشدة، وهو يستطرد: لقد حاولنا إنقاذه صدقني، لكن... لكن...

أشاح بوجهه ليخفي دموعه، ومضت دقيقة كاملة، قبل أن يعتدل كمال وهو يمسح عينيه، ويقول بصوت خافت متهدج: معذرة... هذا الحادث يعذبني بشدة، لم أستطع أن أتخطاه أبدًا.

أومأ يسري برأسه ببطء، وقال: لا بأس.

استعاد كمال رابطة جأشه، وقال بمرارة: منذ ذلك اليوم، تحولت حياتي إلى جحيم، لقد طاردني الصحفيون بمقالاتهم، وخاصة الصحفية ألفت التي شككت في الحادث، بل وألمحت في مقالاتها بأنني ربما دفعت رامي من فوق الصخرة في لحظة غضب أو ما شابه، وحتى بعد ما أدلت لينا بشهادتها لصالحي، قابلتها واتهمتها بأنها المستفيدة الأولى من موت رامي، و...

قاطعه يسري قائلًا في اهتمام: مهلًا، من لينا؟

لوح كمال بكفه في انفعال، وقال: إنها زوجة والد رامي، لقد رعته منذ أن كان صغيرًا، ولم تتخل عن مسؤوليتها تجاهه حتى بعد وفاة والده قبل أكثر من ٤ سنوات... لقد اتهمتها تلك الصحفية بأنها المستفيدة من ذلك الحادث، لأن وفاة رامي ستحررها من مسؤوليته.

سجل يسري كلام كمال في دفتر ملاحظاته، ثم انتقلت عيناه إلى الصورة الفوتوغرافية المعلقة على الحائط، وأشار إلى السيدة التي تحيط الطفل المصاب بمتلازمة داون بذراعها، قائلًا: أهذا هو رامي وزوجة أبيه؟

ـ نعم.

صمت لحظات، ثم استطرد: هذه الصورة هي مصدر فخري وشهرتي، لذا أنا أعلقها على الجدار.

أومأ يسري برأسه في شرود، ثم التفت إلى كمال، وقال: هل اصطحبت تلاميذك وحدك إلى سانت كاترين؟ ألم يكن من المفترض أن يذهب معك بعض المشرفين؟

بدا الارتباك على وجه كمال، وفي حركات أصابعه، وهو يقول: نعم، كان ذلك خطأً كبيرًا مني، لقد ذهبت بالأطفال على مسؤوليتي الشخصية، ودون أن يصحبني أحد من المشرفين.

أدرك يسري أنه يكذب لسبب ما، إلا أنه تجاهل هذه النقطة مؤقتًا، وقال: وبعد؟ ماذا حدث بعد ذلك؟ لماذا تعيد الصحفية ألفت فتح تلك القضية؟

تنهد كمال بعمق، وقال: بعد ذلك الحادث، حُكم عليّ بالحبس لمدة ٦ أشهر، وفقدت عملي، ولم أستطع أن أحصل على عمل جديد، لذا سافرت إلى تركيا بعد إطلاق سراحي، وعملت هناك لمدة عامين ونصف، ثم عدت إلى مصر قبل ٤ أشهر، حيث تمكنت من الحصول على عمل جديد أخيرًا... لكن منذ أسبوع، فوجئت بعدة اتصالات من الصحفية ألفت تطلب فيها مقابلتي، لتناقش معي أمرًا يتعلق بحادث سانت كاترين، حتى إنها جاءت إليّ في النادي الذي أعمل به، لقد رفضت مقابلتها، لكن في النهاية اضطررت إلى ذلك، وحددت معها موعدًا في الساعة الثامنة مساء اليوم، لكنها لم تأتِ.

مال يسري نحوه، وقال بصرامة مفاجئة: أتعلم لماذا لم تأتِ؟

بدت الدهشة على ملامح كمال عندما تغيرت لهجة يسري بتلك الصورة، لكنه هز رأسه نفيًا، وقال في ارتياح: لا يهمني لماذا لم تأتِ... أتمنى ألا تأتي أبدًا، فتلك الصحفية الحقيرة دمرت حياتي.

تبادل الضابطان نظرة صامتة، ثم قال يسري: لقد قلت بأن الصحفية ألفت ظلت تتصل بك على مدار أسبوع، لتُجري مقابلة معك، واضطررت في النهاية للموافقة على مقابلتها، فما الذي اضطرك إلى ذلك؟

ارتبك كمال بشدة، وتلعثم وهو يقول: لقد... لقد كنت أعني أنني... أقصد أنني أردت التخلص من إلحاحها... هذا كل ما في الأمر.

للمرة الثانية أدرك يسري أن كمال يكذب، لكنه تخطى هذا الأمر، ليقول: هل انتقلت حديثًا إلى هذه الشقة؟

صمت كمال لحظات، وبدا أنه يفكر في جواب مناسب، قبل أن يقول في اقتضاب: نعم.

_ أرى أنك تقيم وحدك هنا، أليست لديك أسرة؟

ارتسم الحزن على وجه كمال وهو يقول: بلى، لديَّ أمي، لكنها في المستشفى الآن.

_ في المستشفى؟!

أومأ كمال برأسه، وقال بحزن: نعم، إنها مريضة بالسرطان.

بدا الأسف على وجه يسري وفي صوته، وهو يقول: شفاها الله.

_ آمين.

قال يسري بجدية: هل يعلم أحد بشأن مقابلتك اليوم مع الصحفية ألفت؟

هز كمال رأسه، وقال: كلا، حتى أمي لم أخبرها، لقد عانى كل من حولي الكثير بسبب الصحفيين بعد ذلك الحادث، ولم أرد أن أتسبب لهم بإزعاج جديد.

عاد الصمت يلف المكان لحظات، ثم قال يسري بصرامة: هل لك أن تخبرنا أين كنت عند الساعة السابعة والنصف مساء اليوم؟

انعقد حاجبا كمال وهو يردد: السابعة والنصف؟

صمت لحظة مفكرًا قبل أن يقول: لقد كنت في طريقي إلى المنزل لمقابلة تلك الصحفية... لماذا هذا السؤال؟

صمت يسري برهة، ثم قال ببطء وهو يتطلع إلى كمال بإمعان: لأن الصحفية ألفت قتلت في ذلك الوقت بالقرب من منزلك.

انتفض جسد كمال، وهو يهتف بصدمة: قُتلت؟!

واتسعت عيناه بذعر، وهو يستوعب معنى كلام يسري، وقال بجزع: يا إلهي! لا تقل إنك تشك بي!

_ لقد كنتَ آخر من اتصلت به، ولديك دافع قوي لقتلها... هل لديك حجة غياب في الوقت الذي قُتلت فيه؟

هتف كمال بجزع: أنت مخطئ، أنا لم أقتلها، ولم أقابلها اليوم أبدًا.

زال عنه الفزع فجأة، وتألقت عيناه وهو يقول بحماس: يا إلهي! كيف نسيت ذلك؟! إن لدي حجة غياب قوية في ذلك الوقت.

انعقد حاجبا يسري، وقال: ما هي؟

ـ في الساعة السابعة والثلث تقريبًا صدمت سيارتي إحدى السيارات، وقد تم تحرير محضر بذلك.

* * *

ظلال الشك

قـاد أحمد السـيارة صامتًا إلى قسـم الشرطة، وقد بـدا الإحباط عـلى وجهه، فضحك يسري، وقال: ما بك؟ لم كل هذا الإحباط؟

رد أحمد بضيق: أنا واثق بأنه المجرم، كان يجب أن نلقي القبض عليه.

قـال يسري بجديـة: كيف؟! إن لديه دليل قوي للغاية، وقد تأكدنا من حجة غيابه... بل إن شاهد براءته الرئيسي ضابط شرطة.

صمـت أحمـد مفكرًا لحظات، ثم قال بحماس مفاجئ: أليس من المحتمل أنه قد تعمد الحادث في ذلك الوقت؟ إنها صدفة غريبة.

ابتسـم يسري ابتسـامة باهتة، وقال: حتى لو تعمد ذلك لأي سـبب، فما زالت حجته قائمة.

ـ إذًا، ربما جعل شخصًا آخر يقود سيارته، بينما يرتكب هو الجريمة.

ضحـك يـسري قائلًا: هـل نسـيت أن الكابتن كمال رجب شـخصية مشـهورة؟ لقد تعرف عليه الضابط الذي حرَّر المحضر بسهولة، ولا يمكن التشكيك في ذلك الدليل.

عـاد الإحباط يكسـو ملامح أحمد، وهو يقـول: ماذا لو كان لديـه شريك؟ أعني ربما تعمـد التـورط في حادث سـيارة، حتى يحصـل على دليل بـراءة، بينما يقـوم شريكه بقتل الصحفية... أليس هذا محتملًا؟

صمـت يسري مفكـرًا برهة، ثم قـال بحزم: هذا محتمل جـدًا، لكنه تفكير سـابق لأوانه، نحتاج إلى المزيد من التحريات والتحقيقات قبل أن نبدأ بوضع الافتراضات... ونصيحة لك

أيها الملازم، لا تحاول أبدًا بناء افتراض ما قبل أن تكتمل لديك الصورة بأكملها، وإلا فإنك قد تكون منحازًا في حكمك، وقد تُلقي القبض على بريء، وتترك المجرم الحقيقي حرًا.

قال أحمد بخفوت: أنت محق يا سيادة النقيب.

انعطف يسارًا في تلك اللحظة، وأردف باهتمام: لماذا لم نقم ببعض التحريات اللازمة أولًا، قبل بدء الاستجواب يا سيادة النقيب؟

_ لأنه لو كان المدرب كمال هو المجرم، فهو لن يتوقع أن نصل إليه بهذه السرعة، ثم إن تلك الصحفية اتصلت به قبيل وفاتها مباشرة، وكانت بالقرب من مسكنه، وهذا يرجح أنها كانت على موعد معه، لذا الحل الأمثل هو أن نذهب إليه قبل أن يجهز إجاباته على أسئلتنا.

_أنت على حق يا سيادة النقيب.

صمت لحظات، ثم عاد يسأل: ما رأيك بقصته إذًا؟ أعني رأيك الشخصي قبل التحريات.

_ أكاد أجزم بأن ما حدث في سانت كاترين كان حادثًا غير متعمد، لكن ذلك المدرب أخفى عنا بعض المعلومات المتعلقة بذلك الحادث لسبب ما.

قطب أحمد حاجبيه وهو يقول باهتمام: حقًّا؟ وما هي تلك المعلومات التي أخفاها؟

_ هذا ما سنعرفه من خلال تحرياتنا إن شاء الله.

صمت لحظات، ثم أردف: هل لاحظت ارتباكه عندما سألته عن سبب اضطراره لمقابلة الصحفية؟ لقد كذب في تبريره ذاك، ثم إن تلك الصحفية كما قلتَ كتبت مقالًا تقول فيه بأنها ستكشف معلومات جديدة عن حادث سانت كاترين... لقد كتبت ذلك المقال رغم رفض كمال مقابلتها آنذاك، وهذا يعني أحد أمرين: إما أنها كتبت ذلك المقال وهي تأمل فقط أن يوافق كمال في النهاية على مقابلتها، وهذا احتمال ضعيف بالنسبة لها، أو أنها كانت تملك ما تضطر به كمال إلى مقابلتها.

_ يا إلهي! هل كانت تهدده؟

_ لا أعلم، سنتحرى عن هذا أيضًا، المهم الآن أنني أريد ملف قضية حادث سانت كاترين في أسرع وقت، وأريد كل المعلومات اللازمة عن الصحفية ألفت، وعن علاقاتها، وأعدائها، و...

بتر عبارته فجأة، وقال: توقف يا أحمد.

أوقف أحمد سيارته على جانب الطريق، والتفت إلى يسري قائلًا: ماذا هناك يا سيادة النقيب؟

_ اتصل بتلك الجريدة التي كانت تعمل بها الصحفية ألفت، واحصل على عنوان رئيس التحرير، ولا تخبرهم بشأن ما حدث.

_أمرك يا سيادة النقيب.

أجرى أحمد اتصالًا بالجريدة، ثم التفت إلى يسري وقال: رئيس التحرير متواجد في مقر الجريدة بالفعل يا سيادة النقيب.

_ جيد، فلنذهب الآن لمقابلته.

قاد أحمد السيارة في اتجاه مقر الجريدة، فتابع يسري في شرود: هناك شاهد مهم في تلك القضية، وهي زوجة والد رامي، لا شك أن لديها معلومات تفيدنا.

هتف أحمد: اه، نسيت أن أخبرك بأن الصحفية ألفت اتصلت بتلك السيدة بالأمس.

هتف يسري باستنكار: ماذا؟! كيف نسيت هذا الأمر المهم؟!

ارتبك أحمد وهو يقول: معذرةً يا سيادة النقيب، لقد انشغلنا بأمر اتصال الصحفية بالمدرب كمال، ونسيت أن أخبرك بقائمة اتصالاتها.

هز يسري رأسه، وقال: لا بأس، فلتخبرني بها الآن.

التقط أحمد ورقة صغيرة مطوية من جيب قميصه، ناولها ليسري الذي فتحها، ليجد قائمة باتصالات الصحفية ألفت...

كانـت أغلـب اتصالاتها موجهـة إلى زملائها الصحفيين، إلى جانـب اتصالات كثيرة على مدار الأسـبوع بالمدرب كمال الذي تجاهل أغلـب اتصالاتها، وكان هناك اتصال من كـمال بالصحفية اليوم عند السـاعة العاشرة صباحًا، وقـد دام حوالي ٤ دقائق، واتصلت به الصحفية ألفت في السـاعة السادسة والنصف مسـاءً، وهناك اتصال بالأمس بالسيدة لينا عند الساعة التاسعة مساءً، ودامت المكالمة معها قرابة الـ ٧ دقائق، واتصال آخر اليوم برجل يدعى فايز عند الساعة الواحدة ظهرًا، وعدد من الاتصالات تلقتها من أرقام غير مسجلة.

انعقد حاجبا يسري وهو يغمغم محدثًا نفسه: عجبًا!

سأل أحمد باهتمام: ماذا تقول يا سيادة النقيب؟

رفع يسري صوته قائلًا: كنت أحدث نفسي فحسب.

ثـم وضع الورقة في جيب قميصه، وقال بحزم: أريدك أن تتصل بشركة الاتصالات، وتعرف هوية أصحاب هذه الأرقام غير المسجلة، واترك فحص الهاتف لأحد رجالنا.

أومأ أحمد برأسه، وقال بهدوء: حاضر يا سيادة النقيب.

ما هي إلا بضع دقائق حتى أوقف أحمد سـيارته، وتطلع إلى مبنى صغير، تعلوه لافتة كبيرة كُتب عليها "جريدة خبر عاجل"، وقال: لقد وصلنا.

بدا أن يسري لم ينتبه، وهو يفكر بأن هناك شيء ما مفقود...

شيء مهـم للغايـة كان يجب أن يكـون بحوزة الصحفية، ومن شـأنه أن يكشـف كل شيء.

***

استقبل رئيس التحرير ضابطيِّ المباحث بتوتر ملحوظ في مكتبه، ثم قال وهو يجلس: ماذا تريد منا المباحث الجنائية؟

كان عصمـت في أواخـر الأربعينات مـن عمره، طويل القامة، يميـل إلى النحافة، بدا

شـديد الأناقة، بسـترته السـوداء الفاخرة المزينة بدبوس ذهبي يُعبّر عن غطرسته وثرائه، وشـعره المصفَّـف بعنايـة بالغـة والذي تخلَّلتـه خصلات فضيـة لمعت بين خيوط شـعره الأسود...

جلـس يسري وأحمـد في مواجهته، ثـم قال يسري بـدون مقدمـات: الصحفية ألفت صابر قُتلت.

قفز عصمت من على كرسيه، وهو يهتف بذعر: ماذا؟! تقول قُتلت؟!

أومـأ يسري برأسـه دون أن يتفوه بكلمة، فازدرد عصمـت لعابه بصعوبة، وقال: من قتلها؟

ـ لم نصـل إلى الجـاني بعـد، لـذا نريد منـك أن تتعاون معنـا، لعل لديك مـا يفيدنا في الوصول إلى القاتل.

بذل عصمت مجهودًا خرافيًا ليمنع ابتسامة واسعة كادت تتسلل إلى شفتيه، ثم تنحنح وقال: وأنا بأمرك.

مال يسري نحوه، وقال بهدوء: بدايةً نريد أن نعرف ما إذا كان لها أعداء أم لا... أعني هنا في مجال عملها.

صمـت عصمـت مفكرًا لحظات، ثم قال بضيق: لا أدري مـا إذا كان يمكن أن يُطلق عليهم أعداء أم لا، لكن ألفت كانت شخصية مكروهة من قِبل الجميع هنا، فهي إنسانة اسـتغلالية وأنانيـة، ويمكنهـا أن تفعل كل شيء في سـبيل الحصول على مـا تريد، بل إنها كانت ترفض العمل مع زملائها، حتى لا يقاسمها أحد النجاح.

قال يسري بدهاء: وهل هذا الكلام ينطبق عليك أيضًا؟

اتسعت عينا عصمت، وفقد هدوءه وهو يقول بارتباك: أنا؟! كلا بالطبع، أنا مديرها.

انعقـد حاجبا يـسري للحظة، قبل أن تعـود ملامح وجهه إلى طبيعتها، ويسـأله: لقد علمنا أنها مطلقة، فهل تعلم ما إذا كانت هناك مشاكل بينها وبين طليقها؟

تنحنح عصمت مجددًا، وقال: بالطبع، إن طليقها هو الصحفي رفعت كريم، وهو يعمل في الجريدة، وهناك الكثير من المشاكل بينهما، لكن ألفت كانت تميل إلى العمل بعيدًا عن المكاتب، لذا فهي تقضي القليل من الوقت هنا، وغالبًا ما كانت الخلافات تحتدم بينهما خلال ذلك الوقت القصير.

تبادل الضابطان نظرة مفعمة بالمعاني، ثم سأل يسري: ما نوع الخلافات التي كانت تحتدم بينهما؟ وهل تعرف سبب الطلاق؟

_ لا أعرف سبب الطلاق في الواقع، فقد وقع قبل سنتين، عندما كنت أدير فرع الجريدة في الإسكندرية، لكني أعتقد أن الأمر متعلق بوفاة ابنتهما، فبعد وفاتها، وقع الطلاق مباشرة حسب ما سمعت، أما عن سبب الخلافات بينهما، فهي بسبب القضايا المرفوعة بينهما في المحاكم.

_ هل تعتقد أن الصحفي رفعت يمكن أن يُقدم على قتل طليقته بسبب تلك المشاكل؟

_ لا أعلم ما إذا كان يمكنه أن يفعل ذلك أم لا، لكنه قال لها ذات مرة بأنها تستحق الموت بدلًا من...

بتر عبارته، وارتسمت على وجهه ملامح الحيرة والتفكير، فقال يسري باهتمام: مِن مَن؟

هز عصمت رأسه، وقال: لا أتذكر في الواقع... كان ذلك منذ عدة أشهر.

_وأين الصحفي رفعت الآن؟

_ لقد قمت مؤخرًا بنقل رفعت إلى مقر الجريدة في الإسكندرية، تجنبًا للمشاكل بينهما، لكن بسبب ذلك زاد سخط رفعت على ألفت، فهو يرى أنه كان يجب نقلها بدلًا منه.

_ ولماذا لم تقم بنقل الصحفية ألفت بدلًا منه؟

بدا عصمت مضطربًا وهو يقول: ألفت صحفية ذات أهمية بالغة بالنسبة للجريدة، ونحن نحتاجها هنا في القاهرة للموضوعات المهمة.

تطلع يسري إلى عينيه مباشرة، وهو يقول: أهذا هو السبب فقط؟

تحاشى عصمت النظر في عينيّ يسري، وهو يقول بتوتر: أجل.

اعتدل يسري في مقعده، وقال بهدوء: بحسب تحرياتنا، فقد كانت الصحفية ألفت في طريقها لإجراء تحقيق صحفي متعلق بحادث سانت كاترين الذي وقع قبل ٣ سنوات ونصف، هل لك أن تخبرنا المزيد عن ذلك التحقيق؟ لقد كتبتْ مقالة الأسبوع الماضي ذكرت فيها أنها ستكشف عن معلومة ستعيد التحقيق في الحادث.

ازداد اضطراب عصمت وهو يقول: لا أعلم في الواقع.

قطب يسري حاجبيه وهو يقول بصرامة غاضبة: كيف؟! ألست مديرها؟! كيف توافق على إعادة التحقيق في قضية مضى عليها أكثر من ٣ سنوات دون أن تعلم ما هي المعلومة التي دفعتها إلى ذلك؟!

كان من الواضح أن هذا السؤال قد أصاب وترًا حساسًا في نفس عصمت، فازدرد لعابه بصعوبة، وقال بتلعثم: الواقع... الواقع أن ألفت كانت صحفية جامحة بعض الشيء، وكان من الصعب السيطرة عليها، وأنا أترك لها الحرية في عملها، خوفًا من أن نفقدها، فأنت تعلم أنها صحفية مهمة بالنسبة لجريدتنا، ثم إنه لم يسبق أبدًا أن أساءت اختيار الموضوعات التي تعمل عليها.

ظل يسري يتطلع إليه بصرامة باردة، فانكمش عصمت في مقعده، وتصبب العرق على جبينه، ثم مد يده ملتقطًا سيجارته، وأشعلها وهو يبذل مجهودًا كبيرًا ليسيطر على ارتجافة أصابعه، ومضت دقيقان على هذا النحو، قبل أن يقول يسري ببرود: أين كنت هذه الليلة يا سيد عصمت؟

نفث عصمت دخان سيجارته، وقال: كنت هنا في الجريدة.

_ هل هناك من يؤكد كلامك؟

انعقد حاجبا عصمت، وقال: الكاميرات في الجريدة ستؤكد أنني لم أغادر مكتبي منذ أن جئت في الرابعة عصرًا... لماذا هذا السؤال؟

تجاهل يسري سؤاله، وقال: ليست هناك أي كاميرات في مكتبك يا سيد عصمت، وكان يمكنك ببساطة أن تخرج من باب الطوارئ المجاور لمكتبك، وتعود دون أن ينتبه أحد.

قال عصمت في عصبية: ما الذي يعنيه هذا بالضبط؟

_ نحن نتأكد مما إذا كانت لديك حجة غياب وقت مقتل الصحفية.

_ماذا؟! هل تشكون بي؟!

لم يُجب يسري، فاستطرد عصمت: يمكنني أن أعطيك قائمة بالصحفيين الذين تعاملوا معي الليلة، وسيؤكدون صحة كلامي.

وقف يسري وتبعه أحمد، وقال الأول وهو يهمُّ بالخروج: هل من الطبيعي أن تظل في الجريدة حتى هذا الوقت المتأخر؟

_ أجل، أنا أصل إلى هنا قبل طباعة النسخة المسائية، ولا أغادر حتى يتم طباعة النسخة الصباحية.

فتح يسري الباب ليخرج، ثم تذكر أمرًا ما، فالتفت إلى عصمت وقال بصرامة: لا تنشر شيئًا بشأن مقتل الصحفية ألفت في الوقت الحاضر... هل فهمت؟

أومأ عصمت برأسه ببطء، فعاد يسري يقول: نريد أن نفحص مكتب الضحية.

قال عصمت بصوت مبحوح: إنه في آخر غرفة على اليمين في الطابق الأول.

ذهب يسري وأحمد إلى غرفة المكتب التي أشار إليها رئيس التحرير، ليجدا أمامهما غرفة متوسطة الحجم، خالية من الموظفين، تحتوي على أربعة مكاتب متجاورة، كان أولها يحمل لافتة كُتب عليها (الصحفية ألفت صابر)... اتجه الضابطان إلى مكتب ألفت، وقاما بتفتيشه، إلا أنهما لم يعثرا على شيء مفيد باستثناء حاسوبها المحمول، وبضعة ملفات ورقية، ومجموعة من الجرائد، فقال يسري بحزم وهو يغادر المكان مع أحمد: أريد فحص هذا الحاسوب وهذه الملفات، ومعرفة ما تحويه هذه الجرائد.

أجابه أحمد: أمرك يا سيادة النقيب.

وما إن صارا خارج المبنى حتى قال أحمد بحزم: ذلك الرجل عصمت يكذب حتمًا.

أومأ يسري برأسه مؤيدًا، وقال: ليس هذا فحسب... تلك الصحفية كانت تفعل ما تريد دون اعتبار لمديرها، وهذا يثير احتمالات قد تكون دافعًا للقتل.

قال أحمد باهتمام شديد: هل لك أن توضح ما تعنيه يا سيادة النقيب؟

_ دعك من هذا الآن... أريد التحقيق مع العاملين في هذه الجريدة، والتحقق من حجة غياب رئيس التحرير، ولا تنس أن تحصل على رقم هاتف الصحفي رفعت طليق الضحية، وعنوان منزله، وكذلك الأمر بالنسبة لعائلتها، أيضًا أريد مراجعة كل القضايا التي عملت عليها تلك الصحفية، خاصةً تلك التي تحولت إلى قضايا رأي عام، وتلك التي خلقت لها أعداءً.

_حاضر يا سيادة النقيب.

_ وأريدك أن تعرف في أي مستشفى تقيم والدة المدرب كمال، فسنذهب لزيارتها في الصباح بإذن الله.

قال أحمد مستغربًا: ولكن لماذا؟

_ لأن الأم تعرف الكثير عن ابنها، وربما كانت لديها معلومات تفيدنا.

أومأ أحمد برأسه، فتابع يسري: بعد ذلك سنذهب لزيارة السيدة لينا.

سأل أحمد: ألن نفتش شقة الصحفية ألفت؟

_ اترك هذه المهمة لرجالنا، ولنركز نحن على استجواب الشهود وجمع المعلومات.

***

في غرفة المكتب، جلس عصمت في مكانه واجمًا، وهو يسترجع كل ما قاله قبل قليل...

لا شك أن إجاباته ستجعلهما يشكان به... لقد بدا له أنهما لم يصدقاه...

هل يمكن أن يكتشفا ذلك الأمر؟

راعته الفكرة، فقام ببطء، وأخذ يذرع الغرفة ذهابًا وإيابًا وهو يفكر في كل الاحتمالات، ثم التقط نفسًا عميقًا وقال بتوتر: لا بأس يا عصمت، لا بأس... لم يعد هناك من يهددك، ومن المستحيل أن يربطوا بينك وبين ذلك الأمر... ليس لديهم أي دليل ضدك.

شعر ببعض الارتياح بعد حديث النفس ذاك، لكنه ما لبث أن تذكر أمر الصور التي هددته بها ألفت، فقال في توتر شديد: لا شك أن ألفت تمتلك نسخًا أخرى منها... ماذا لو...؟

راعته هذه الفكرة، فأخذ يفكر في حل لها، وفجأةً خطرت بباله فكرةٌ ما، فأخذ يقلبها من كل الوجوه، ويفكر في كل الاحتمالات، وما لبث أن أطلق تنهيدة ارتياح، وقال: إنه حل خطير، لكن لا مفر من اللجوء إليه.

تذكر مقتل الصحفية ألفت، فبرقت عيناه، وقال بحماس: مستحيل أن أفوِّت هذه الفرصة.

قالها، ثم التقط سماعة الهاتف، واتصل برقم داخلي، وما إن أتاه صوت محدثه، حتى قال: اسمعني جيدًا، هناك خبر مهم أريده أن ينزل في جريدة الصباح... نعم، خبر عاجل جدًا لا يحتمل التأجيل.

أخبر محدثه بمقتل الصحفية ألفت صابر، ثم وضع السماعة، وهو يبتسم قائلًا في سخرية ظافرة: فلنرَ ما يمكنك فعله يا رجل المباحث الجنائية.

***

عاد يسري إلى منزله في ساعة متأخرة من الليل، بعد أن راجع ملف قضية حادثة سانت كاترين...

كان الأمر كما حكى المدرب كمال تمامًا، إلا أن هناك نقطة أثارت انتباه يسري، وهي شهادة الأطفال في حادثة سانت كاترين، والتي يبدو أن المحقق المسؤول عن القضية لم يعرها الاهتمام الكافي...

بحسب ما ورد في ملف القضية، فقد كانت حالة الأطفال سيئة للغاية بعد وفاة زميلهم، وتدخل المحامون ليمنعوا المحققين من استجواب الأطفال كما يجب، وحتى الأطفال الذين وافقوا على التعاون مع الشرطة، جاءت شهاداتهم مضطربة، فلم يتم الأخذ بها...

شعر يسري بالسّخط أمام تلك النقطة المهمة التي جرى إهمالها، أمَّا الآن وقد أتيحت له فرصة إعادة التحقيق في القضية، فلا بد أن يسعى لكشف الحقيقة كاملة، فربما تحمل مفتاح قضية مقتل تلك الصحفية...

في نفس الوقت، كانت هناك عشرات الأسئلة تدور في عقله، دون أن يجد لها إجابة...

ماذا حدث في سانت كاترين؟

ما الذي كانت تعنيه الصحفية ألفت بمقالها الأخير؟

هل بالفعل توصلت إلى معلومة بشأن ذلك الحادث دفعت أحدهم إلى القتل؟ أم أنها قُتلت لسبب آخر؟

ما هو الشيء الذي اضطر المدرب كمال إلى لقاء الصحفية، رغم رفضه على مدار أسبوع؟

كيف لم يعلم رئيس تحرير الجريدة التي تعمل بها ألفت شيئًا عن المعلومة التي دفعت تلك الأخيرة إلى إعادة التحقيق في حادث سانت كاترين؟

هل لعصمت يد في الجريمة؟

أدرك أن هذا السؤال سابق لأوانه، فما زال أمامه عدد من الشهود أو المشتبه بهم لاستجوابهم...

اتصل بشقيقه فارس _الذي سافر إلى الإسكندرية في مهمة صحفية_ ليطمئن عليه، ثم ارتدى منامته، وحاول أن يسترخي في فراشه، إلا أن سؤالًا واحدًا ظل يلح عليه دون أن يجد إجابة له: ما هو الشيء المفقود الذي كان من المفترض أن يكون بحوزة الصحفية؟

***

شاب مريب

كانت السـاعة تشـير إلى السـابعة صباحًا عندما ارتفع رنين هاتف يسري ليوقظه من نومه، فالتقط هاتفه من أسـفل الوسـادة، وألقى نظرة على شاشته، ثم ضغط زر الإجابة، وقال بصوت ناعس: صباح الخير يا أحمد.

جـاءه صوت أحمد نشـيطًا وهو يقول: صباح الخير يا سـيادة النقيـب... أعتذر لأنني أيقظتك في هذا الوقت، ولكنني حصلت على بعض المعلومات التي طلبتها.

جلس يسري على طرف فراشه، وقال وهو يفرك عينيه: ماذا لديك؟

_ لقد حصلت على عنوان المستشفى الذي تُعالَج فيه الطبيبة رنا فتحي والدة المدرب كـمال، وأيضًا اتصلت بالصحفـي رفعت كريم، الذي فُوجِئ بمقتل طليقته، وأخبرني أنه بالفعل في طريقه إلى القاهرة من أجل زيارة والدته، وسيصل عند الساعة التاسعة صباحًا.

انعقد حاجبا يسري، وقال بحذر: من أجل زيارة والدته فقط؟

_ أجل، لقد بدا سعيدًا جدًا عندما علم بمقتل طليقته، وقال لي بأنه لن يحضر جنازتها.

غمغم يسري: عجبًا!

تابـع أحمـد: أما بالنسـبة لعائلة القتيلة، فقـد علمنا أن والديها متوفيان، ولديها شـقيق واحد يُدعى فايز يملك مكتبًا للمحاسبة، ويعيش في الدقي، ولديه زوجة وولدان، وهو من اتصلت به الصحفية يوم وفاتها.

_ حسنًا، اتصل بذلك الصحفي، وأخبره بأننا سنقابله عند الظهيرة، وتواصل أيضًا مع شقيق الضحية، وحدد معه لقاءً بعد العصر، أما الآن فدعنا نذهب لمقابلة والدة المدرب كمال، قبل أن يسبقنا ابنها إليها.

***

«تريد أن تقابل الدكتورة رنا؟! هذا مستحيل!»

نطق الطبيب المسؤول عن حالة رنا تلك العبارة بصرامة، في مواجهة ضابطي المباحث، ثم تابع: إنها مصابة بالسرطان، وهي تعاني من...

قاطعه يسري قائلًا بصرامة مماثلة: هل حالتها لا تسمح بإلقاء الأسئلة عليها؟

تردد الطبيب لحظة، والتفت إلى طبيب شاب يقف بجواره، وكأنه يسأله رأيه، ثم عاد ببصره إلى يسري قائلًا: بل تسمح، ولكن...

_ لم لا تعرض عليها الأمر إذًا؟ لا أظنها تمانع، خاصةً إذا ما علمت أن إجاباتها قد تنقذ ابنها.

اتسعت عينا الطبيب الشاب، وقال: أتقصد المدرب كمال؟ ماذا حدث له؟

التفت يسري إلى الطبيب الشاب، وقطب حاجبيه، قائلًا باهتمام: هل تعرف السيد كمال؟

أومأ الطبيب برأسه، وقال بلهجة تحمل كل معاني التقدير: بالتأكيد، إنه الابن الوحيد لأستاذتنا.

ثم اكتست لهجته بالقلق وهو يكرر سؤاله: ماذا حدث له؟

_ لا شيء في الوقت الحاضر، لكن هناك تحقيق نجريه، ونعتقد أن والدته قد تفيدنا.

تبادل الطبيبان نظرات القلق، وصمت الطبيب المسؤول عن حالة رنا مفكرًا لحظات، قبل أن يقول: لا بأس، طالما أن هذا من أجل السيد كمال ابن الطبيبة رنا، لكن أرجو ألا تثقل عليها بالكلام.

قالها، ثم التفت إلى الطبيب الشاب قائلًا: رائد، قدهما إلى غرفة الطبيبة رنا.

في الطابق الخامس، حيث قسم الأورام بذلك المستشفى الاستشاري بمدينة نصر، تقع غرفة الطبيبة رنا... غرفة صغيرة بها سرير واحد، ودولاب صغير، وكرسي، وطاولة، وُضع عليها عدد من الجرائد، إلى جانب وجبة خفيفة، وزجاجة مياه...

كانت رنا سيدة في منتصف الخمسينات متوسطة القامة، بدت شاحبة وهي ترقد على الفراش، فابتسم يسري ابتسامة مشفقة، وهو يقول بلهجة ودودة: صباح الخير يا سيدتي، آمل أن تكوني بخير.

أومأت رنا برأسها بوهن واضح، وقالت: صباح الخير يا بني... اعذراني لأنني أستقبلكما هكذا.

شعر الضابطان بالحرج، وهم يسري بقول شيء ما، إلا أن رنا سألته بقلق: ماذا تريدان مني؟

جلس يسري على الكرسي بجانب الطاولة، وأخرج دفتر ملاحظاته، في حين وقف أحمد في زاوية الغرفة بالقرب من النافذة...

قال يسري بهدوء: لا تقلقي يا سيدتي، إنها مجرد أسئلة روتينية عن ذلك الحادث الذي تورط فيه ابنك قبل ٣ سنوات ونصف.

بدا الأسى على وجهها وهي تقول: أتقصد حادث سانت كاترين؟

_ نعم، إنه هو.

اندفعت تقول بانفعال مفاجئ: لكن ابني لم يكن السبب وراء ذلك الحادث... الشاب الذي كان معه هو السبب وراء وفاة ذلك الطفل.

تبادل الضابطان نظرة دهشة، ثم التفت يسري إلى رنا، وقال باهتمام شديد: ما الذي تعنيه يا سيدتي؟ ومن هو ذلك الشاب بالضبط؟

هزت رأسها بضيق، وقالت: لا أدري من هو، لكن بعد إطلاق سراح ابني، اتصل به ذلك الشاب، وسمعت كلامه، لأن كمال ضغط على مكبر الصوت... كان ذلك الشاب

يقـول لـه بأنه هو السـبب فيما حـدث، ويعتذر لأن ابنـي هو من تحمل كل المسـؤولية... عندما أنهى كمال المكالمة أسرعت إليه لأسـئله سـمعت، لكنه رفض إخباري بأي شيء، وقال لي بأن ذلك الحادث هو مسؤوليته وحده.

ران الصمـت لحظـات على الغرفـة، ويسري يحاول اسـتيعاب هـذه المعلومة الجديدة الكفيلة بتغيير مسار القضية، وتساءل في قرارة نفسه: من ذلك الشاب؟ وما مدى تورطه في القضية؟ ولماذا يحاول المدرب كمال حمايته؟

انعقد حاجبا يسري، وقال بحذر: هل أنتِ واثقة من ذلك؟

_ تمام الثقة.

_ إذًا، لماذا أخفى ابنكِ ذلك الأمر في التحقيقات؟

_ لا أدري... ذلـك الأمـر كاد يفقـدني عقلي، فقد تحمل ابني كل المسـؤولية، وأحال الصحفيـون حياتـه إلى جحيم، خاصةً تلك الصحفية ذات الشـعر النـاري التي لم تكتفِ بتدمير حياته آنذاك، بل ما زالت تسعى وراءه.

_ أتقصدين الصحفية ألفت صابر؟

قالت ببغض: أجل، إنها هي.

_ هل قابلتها من قبل؟

_ التقيت بها مرة واحدة عقب الحادث، فقد كانت تود إجراء مقابلة صحفية مع ابني.

صمت يسري لحظات، ثم قال: قلتِ إنها ما زالت تسعى وراءه، كيف علمتِ بذلك؟ هل أخبرك ابنكِ؟

أطلقت زفرة ملتهبة، ثم قالت: لا، لقد قرأت المقال الذي كتبته الأسبوع الماضي.

_ هل هذا يعني أنكِ لا تعلمين أنها كانت ستُجري مقابلة صحفية مع ابنك بالأمس؟

اتسعت عينا رنا بجزع، وهي تقول: ماذا؟! تلك الحقيرة الـ...

سـعلت بقوة، فـأسرع يسري يناولها زجاجـة المياه، وهو يقول: رويدك يا سـيدتي، لا داعي للانفعال، فهي لم تقابله.

شربت بعض الماء، ثم وضعت الزجاجة بجانبها، وقالت: سأطلب من ابني أن يخبرها عن ذلك الشاب الذي تسبب في موت رامي، لقد عانى الكثير طوال تلك السنوات.

هز يسري رأسه، وقال: لن يكون هناك داعٍ لذلك.

سألته بحيرة: ماذا تعني؟

_ لقد قُتلت الصحفية ألفت صابر بالأمس.

بدت الصدمة على ملامح رنا وفي صوتها وهي تهتف: مـ... ماذا تقول؟! قُتلت؟!

قالتها ثم أخذت تلهث بقوة، فقال يسري مشفقًا: هذا صحيح.

ران الصمـت لحظـات على الغرفة، حتى اسـتعادت رنا توازنها، ثـم قالت بتوتر: لماذا أنت هنا بالضبط؟

_ كما أخبرتك أنا هنا من أجل أسئلة روتينية.

_ لا، لقـد قلت بـأن تلك الصحفية كانت سـتجري مقابلة مع ابنـي بالأمس، لكنها قتلت... لا تقل لي بأنك تشك في ابني!

_ لا، اطمئني يا سيدتي، ابنك لديه دليل براءة قوي، المجرم شخص آخر.

أطلقت زفرة ارتياح قوية، وقالت: حمدًا لله... حمدًا لله.

وقف يسري قائلًا: سـنكتفي بهذا القدر من الأسـئلة اليوم... معذرة لهذا الإزعاج يا سيدتي.

هزت رأسها، وابتسمت بود، قائلة: بالعكس، لقد أرحت قلبي، شكرًا لك.

***

كان الضابطـان في طريقهـما لمغادرة المستشـفى عندما قال أحمد بحـيرة: ما الذي يعنيه

ذلـك بالضبـط؟ هل هنـاك أحد آخـر متورط في حـادث سـانت كاترين؟ ولمـاذا أخفى المدرب كمال ذلك الأمر؟

كان يسري يفكر في الأسـئلة نفسـها، فغمغم بـشرود: لا أدري، علينا أن نتحرى عن ذلك.

تـرك أفـكاره جانبًا، وقال بحزم: لا بد من التحقيق مع هؤلاء الأطفال الذين كانوا في سانت كاترين وقتئذٍ... أما الآن...

كان يهمّ بالخروج من باب المستشفى وهو ينطق جملته الأخيرة، عندما كاد بائع الجرائد يصطدم به وهو يسرع لدخول المستشفى، فتنحى يسري جانبًا بسرعة، وقال بضيق: انتبه.

توقـف الفتى وقال بتوتر: أرجو المعذرة يا سـيدي... لقد تأخـر إصدار جريدة «خبر عاجل» اليوم، لذا...

ابتسم يسري في وجهه قائلًا: لا عليك.

قال أحمد بعد أن غادرا المستشفى: لماذا تأخر إصدار الجريدة اليوم؟ هذا غريب!

قال يسري بسخرية: ربما كان السبب وراء ذلك هو زيارتنا لرئيس التحرير.

هـم أحمـد بقول شيء ما، لكن يـسري قاطعه وهو يفتح باب السـيارة قائلًا: فلنذهب الآن للقـاء السـيدة لينا، قبـل أن يصل إليها خـبر مقتل الصحفية، فـلا أظن أن عصمت سيترك ذلك الخبر طويلًا دون أن يحاول استغلاله لصالح جريدته.

لكنه لم يدرك في تلك اللحظة أن عصمت قد نشر الخبر بالفعل، وأن مصر كلها باتت تعلم بمقتل الصحفية.

***

ليـــنا

كان الهدوء يسود المكان في ذلك الحي الراقي بمدينة مصر الجديدة، عندما أوقف أحمد سيارته أمام عمارة فاخرة، والتفت إلى يسري قائلًا وهو يشير إلى شقة بالدور الثالث: هذا هو منزل السيدة لينا يا سيادة النقيب.

التفت يسري يتأمل المكان...

كان ذلـك الحي يتكون من عدة عمائر سـكنية، تتزين كل منها بحديقة صغيرة، ولكل منهـا مرآب خاص، وبين كل عمارة وأخرى مسـافة تقارب العشريـن مترًا، فخلق المنظر لوحة فنية من الهدوء والسـكينة، لكن فجأة قطع هذا الهدوء بوق عالٍ لسـيارة نقل أثاث متوسـطة الحجـم وقفت في تلك اللحظة وراء سـيارتهما، فبدا الانزعـاج على وجه أحمد، وقال بسخط: يا لهذا الإزعاج!

غادرا السـيارة، واتجها إلى العمارة المقصودة، حيث وجدا حارسـين يجلسان في مدخل العمارة، وراء طاولة عليها شاشـة تظهر لقطـات كاميرات المراقبة التي ترصد العمارة وما حولها...

وقف أحد الحارسين، وقال بتحفز: ماذا تريدان؟

أخـرج يـسري بطاقـة الشرطة، وقـال بهـدوء: المباحث الجنائيـة... نريـد مقابلة أحد السكان هنا.

تراجع الحارس برهبة ممتزجة بالخوف، في حين وقف الآخر وهو يردد بتوتر: المباحث الجنائية!

وقال الأول في حذر: هل تريد لقاء السيدة لينا؟

انعقد حاجبا يسري، وقال في صرامة: كيف عرفت ذلك؟

ازدرد الحارس لعابه بصعوبة، وقال: لأنها الوحيدة الموجودة هنا حاليًا، فباقي السكان يقضون إجازة العيد خارج القاهرة.

صمت يسري لحظات، ثم قال: هل كانت السيدة لينا هنا ليلة أمس؟

هز الحارس الآخر رأسه نفيًا، وقال: لا يا سيدي، لقد خرجت ليلة أمس.

التفت إليه يسري، وقال باهتمام: متى خرجت بالضبط؟ وهل تعلم أين ذهبت؟ ومتى عادت؟

هز الحارس رأسه، وقال: لا أعلم متى خرجتْ بالضبط، لقد كنت وحدي هنا، وقد حدث انقطاع في التيار الكهربائي منذ الساعة السادسة والنصف تقريبًا وحتى الثامنة.

_ ألم تستخدم كشافًا طوال تلك الفترة؟ كيف لم تشعر بخروجها؟!

ارتبك بشدة وهو ينظر إلى زميله بخجل، ثم أطرق برأسه وهو يقول: لقد كنت أشعر بالتعب، لذا ذهبت إلى غرفة الحراسة، ونمت حتى عودة التيار، لذا...

حدجه زميله بنظرة قاسية، فتحاشى الحارس نظراته، ورفع بصره إلى يسري وهو يتابع: لذا لا أعلم متى خرجت، وبالطبع لا أعلم إلى أين ذهبت، لكنها عادت قرابة الساعة العاشرة مساءً.

أومأ يسري برأسه ببطء، وقال في نفسه: هذا يعني أن السيدة لينا قد خرجت بين السادسة والنصف والثامنة مساءً، فأين ذهبت بالضبط؟ وهل لها علاقة بالجريمة؟

***

ما إن ضغط أحمد جرس الشقة حتى فُتح الباب، وظهرت على عتبته لينا التي كانت في طريقها إلى الخارج، وبدا من الواضح أنها على عجلة من أمرها، وما إن رأت الرجلين

حتى تراجعت وهي تقول بترقب: هل أنتما...؟

قاطعها يسري وهو يخرج بطاقته، ويعرضها أمامها: أنتِ السيدة لينا، أليس كذلك؟ نحن من المباحث الجنائية... نود الحديث معكِ قليلًا.

بدا التوتر على وجه لينا، وارتبكت لحظات قبل أن تقول: الواقع أن...

_ لن نأخذ الكثير من وقتك.

تغلبت على ترددها، وقالت باستسلام وهي تفسح الطريق: تفضلا.

قادتهما إلى الصالون الذي بدا فاخرًا ومبهجًا لمن يراه، بألوانه الحديثة الزاهية، وإن خلت أرضياته الرخامية من السجاد، وعُلق على أحد الجدران لوحة تصور لينا مع رامي وسط الثلوج وهما يلوحان بعلامة النصر، وفي نهاية الصالون كانت الشرفة الكبيرة مفتوحة، وقد امتلأت بالكثير من الأغراض غير المرتبة، والحقائب الكبيرة، على نحو بدا مزعجًا ومتناقضًا مع الصالون المرتب.

جلس الضابطان على الأريكة، في حين بقيت لينا واقفة، وقالت بتوتر: هل يمكنني إجراء مكالمة؟ معذرةً لكن الأمر مهم.

أشار لها يسري بيده قائلًا بهدوء: لا بأس.

أسرعت إلى الداخل، وهي تعبث بهاتفها، وتناهى إلى مسامع الضابطين بعض من كلامها، فكانت تقول: نعم، إنه أنا... أعتذر بشدة، لا يمكنني في الوقت الحالي أن...

بدا أنها قد دخلت إلى غرفة أخرى، فلم يستطيعا سماع بقية حديثها، وما لبثت أن عادت إلى الصالون وهي تنهي المكالمة بقولها: حسنًا، لن أتأخر إن شاء الله.

أغلقت الهاتف بعصبية واضحة، ثم التفتت إلى الضابطين، وقالت بتوتر: أرجو المعذرة.

ابتسم لها يسري، وقال: لا عليكِ يا سيدة لينا.

جلست على الكرسي المقابل لهما دون أن تتفوه بكلمة... كان من الواضح أنها متوترة

بشـدة، وهي تقبض بيديها على مسندي الكرسي الذي تجلس عليه، فبادرها يسري قائلًا: أرجو أن تسترخي يا سيدة لينا، فنحن هنا نقوم بإجراء روتيني، فلا داعي للقلق.

أومأت برأسها ببطء، ثم ازدردت لعابها، وقالت: إذًا، ماذا تريدان مني؟

قال يسري بهدوء: هلا تعرفينا بنفسك أولًا؟

التقطـت نفسًـا عميقًا لتسـيطر على أعصابهـا، ثم اعتدلت في جلسـتها قائلـة: أنا لينا ثابت... عمري ٢٨ عامًا، أعمل أخصائية اجتماعية في مدرسة قادة المستقبل الدولية.

_ يبدو أنك تعيشين وحدك، أليس كذلك؟

ارتسـم الحزن على وجهها وهي تقول: هذا صحيح، لقد توفي زوجي قبل أكثر من ٤ سنوات، ثم لحقه ابني رامي بعد سنة، ومن وقتها وأنا أعيش وحدي.

_ كان رامي ابن زوجك، أليس كذلك؟

_هذا صحيح، لكنه كان بمثابة ابني.

قالت جملتها الأخيرة بصوت مختنق، وكأنها توشك على البكاء، فالتقطت كوبًا من الماء موضوعًا على طاولة أمامها، وشربت قليلًا منه، قبل أن يسـألها يسري: أليس لديكِ أبناء من زوجك رحمه الله؟

هزت رأسها نفيًا، وقالت بشرود: لا، فهو...

بترت عبارتها بغتة، وهي تفيق من شرودها، فقال يسري بحذر: فهو ماذا؟

انعقد حاجباها بشدة، وقالت في ضيق: أعتذر عن الإجابة، لكنه أمر شخصي تمامًا.

قرر يسري تجاهل هذا الأمر في الوقت الحاضر ما دام ليس له علاقة بالجريمة، وتطلع إليها بإمعان وهو يقول: هلا تحدثينا عن يوم وفاة ابنك؟

اكتسى وجه لينا بالحزن، وتطلعت إلى الصورة المعلقة على الحائط التي تجمعها برامي، ثـم قالت بشرود: لقد وقع الحادث قبل ٣ سـنوات ونصف تقريبًـا... قرر كمال أن يأخذ

الأطفال في رحلة إلى سانت كاترين للتزلج على الجليد، وسافر رامي معهم... كانت تلك هي آخر مرة أراه فيها.

ترقرقت عيناها بالدموع، فأخرجت من حقيبتها منديلًا، وهي تتابع: كنت على تواصل مع كمال خلال تلك الفترة... كان كل شيء على ما يرام في الأيام الثلاثة الأولى، لكن في اليوم الرابع اتصل بي كمال في وقت مبكر، وأخبرني بأن رامي قد خرج وحده ليتزلج على الجليد وسط عاصفة ثلجية هبت فجأة، و...

انتحبت بشدة وهي تقول: لقد سقط من فوق أحد الصخور، وعندما وصلوا إليه، كان... كان الأوان قد فات.

انخرطت في بكاء مرير لعشر دقائق كاملة، وانتظر يسري حتى هدأت قبل أن يقول في خفوت: رحمه الله.

أومأت برأسها دون أن تجيب، فاستطرد يسري قائلًا في حزم: أتعلمين يا سيدتي من هو المشرف الذي رافق السيد كمال إلى سانت كاترين؟

رفعت عينيها إليه في دهشة، وقالت: ماذا؟! أي مشرف؟! لقد سافر كمال بالأطفال وحده.

لم يجب يسري، فتابعت بإلحاح عصبي: أي شخص ذلك يا سيدي؟ هل هناك من رافق كمال في تلك الرحلة؟

أجابها يسري في هدوء: أنا فقط أسألكِ عما كان هناك من رافقه كمشرف في تلك الرحلة.

بدا عليها الارتياح وهي تقول: لا، لم يرافقه أحد في تلك الرحلة.

كان رد فعلها عجيبًا، فظل يسري يتطلع إليها بضع لحظات في صمت، قبل أن يقرر تغيير الموضوع قائلًا: أنتِ تعرفين الصحفية ألفت صابر، أليس كذلك؟ تلك الصحفية التي كتبت عدة مقالات عن حادثة سانت كاترين.

قال جملته الأخيرة بحذر وهو يتطلع إلى ملامح وجهها، فانعقد حاجباها بشـدة وهي تقول ببغض: بالطبع أعرفها، لقد كانت شيطانة.

انعقد حاجبا يسري وهو يقول بحذر: كانت؟!

_ أجل، كانت... ألم تُقتل بالأمس؟

تبادل الضابطان نظرة دهشة، ثم قال يسري بحدة: كيف علمتِ بذلك؟

تطلعت إليه بحيرة، فقال بصرامة: كيف علمتِ أنها قتلت؟

ارتبكـت أمـام صرامتـه المفاجئة، وقالـت: لقد... لقـد ذكروا ذلـك في جريدة «خبر عاجل».

احتقن وجه يسري، وهو يهتف بدهشة ممتزجة بالسخط: ماذا؟!

قامت من مكانها، واتجهت إلى الداخل قائلة: سأحضر الجريدة لترى بنفسك.

اختفت حوالي نصف دقيقة، وما لبثت أن عادت وهي تمسك بيدها الجريدة، وأعطتها ليـسري الـذي ازداد احتقان وجهه، وهـو يرى صورة الصحفية ألفـت تتصدر الصفحة الأولى من الجريدة، مع عنوان: خبر عاجل... مقتل الصحفية ألفت صابر بالأمس.

اتسـعت عينا أحمد وهـو يتطلع إلى الصـورة، وغمغم محدثًا يـسري: ولكن كيف؟ ألم نطلب منه...؟

قاطعه يسري بإشـارة من يده، وأعاد الجريدة إلى لينا، وقال بهدوء ظاهري: لا بأس يا سيدة لينا.

عادت إلى مكانها، وقد بدا عليها الارتياح، والتقط يسري نفسًا عميقًا محاولًا السيطرة على أعصابه، ثم قال: سيدة لينا، لقد اتصلت بكِ الصحفية ألفت قبل أول أمس، أليس كذلك؟

بدا الارتباك على ملامح لينا وهي تقول: هذا صحيح.

_ هل لكِ أن تخبرينا بالسبب وراء ذلك الاتصال؟

_ لقد... لقد طلبت إجراء حوار صحفي بشأن حادثة سانت كاترين، لكنني رفضت.

مال يسري نحوها وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة قائلًا: ولماذا تطلب منكِ إجراء حوار صحفي بشأن ذلك الحادث رغم مرور أكثر من ٣ سنوات على وقوعه؟

ازداد ارتباكها أمام نظراته الثاقبة، فأطرقت برأسها لتتحاشى نظراته وهي تقول: لا أعلم.

اعتدل يسري في مقعده، وقال ببرود: إذًا، فقد استمرت المكالمة ٧ دقائق لأجل إقناعك بذلك الحوار!

_ هذا صحيح.

ظل يسري يتطلع إليها بضع لحظات في صمت، قبل أن يقول في حزم: لقد ذكرتْ الصحفية في مقالة لها الأسبوع الماضي أنها بصدد الكشف عن معلومة تتعلق بحادثة سانت كاترين، هل تعلمين شيئًا عن تلك المعلومة؟

_ لا.

_ لقد كانت الصحفية تسعى وراء المدرب كمال قبل وفاتها، هل تعتقدين أن له يد في وفاة ابنك؟

رفعت رأسها إليه، وقد ارتسم الذعر على ملامحها قائلة: كلا بالطبع، لقد كان ذلك مجرد حادث.

_ لقد شهدتِ لصالحه آنذاك، بالرغم من أنه تسبب في وفاة ابنك!

التمعت عيناها بالدموع وهي تقول: إنه لم يفعل، لقد كان ذلك الحادث قضاءً وقدرًا، لم يكن لكمال يد فيه، وهذا ما شهدت به.

هز يسري رأسه، وقال بحزم: اسمحي لي أن أصحح معلوماتك يا سيدة لينا، فذلك الحادث لم يكن قضاءً وقدرًا كما تقولين، بل وقع بسبب الإهمال، ولو اتخذ السيد كمال احتياطاته في تلك الرحلة، لم يكن ليقع ذلك الحادث.

همـت لينا بالتعقيب على كلامه، لكن يسري قال بصرامة مفاجئة: أين كنتِ ليلة أمس يا سيدة لينا؟

_ لقد خرجت في الساعة الثامنة إلا عشر دقائق، وعدت في العاشرة تقريبًا.

_ هل هناك من يؤكد كلامك؟

_ لا شك أن الحارس سيؤكد كلامي.

_ الحارس كان نائمًا في الوقت الذي خرجتِ فيه، ولم يركِ إلا عندما عدتِ.

اتسعت عيناها في دهشة وهي تقول: كان نائمًا!

_ أين ذهبتِ يا سيدتي ليلة أمس؟

ازدردت لعابها، وقالت بارتباك: لقد ذهبت لأتمشى قليلًا.

ضاقت حدقتا يسري وهو يقول: تتمشي؟! أليس هذا غريبًا يا سيدتي؟ لقد كان التيار الكهربائي منقطعًا في ذلك الوقت!

اتسـعت عيناهـا في ارتيـاع عندما تذكرت ذلـك الأمر، وعجزت عـن الإجابة، فقال يسري بصرامة خشنة: أين كنتِ بالضبط في ذلك الوقت؟

ارتجف صوتها وهي تقول: أقسـم بالله أنني لم أقتل تلك الصحفية، لقد كنت في منزلي في الساعة السابعة والنصف مساءً.

قال يسري ببرود: لكن ليس لديكِ حجة غياب في ذلك الوقت.

انهارت في البكاء فجأة وهي تردد: لكنني لم أقتلها، أقسم بالله أنني لم أقتلها.

قال يسري بحزم: إذا كنتِ بريئة حقًا، فيجدر بكِ أن تخبرينا بالحقيقة.

_ لقد أخبرتك بالحقيقة، لم لا تصدقني؟

وقف النقيب يسري قائلًا: سـنغادر الآن يا سـيدة لينا، لكننا سـنعود مجددًا، عسى أن يكون لديكِ إجابات مقنعة وقتئذٍ.

قالها، وغادر الشقة مع الملازم أحمد، تاركين لينا في انهيار تام.

***

مـا إن خرج الضابطان من شـقة لينا، حتى ارتفع رنـين هاتف يسري، فالتقطه بسرعة ليجد المتصل هو رئيسـه العقيد مسـعد، فضغط على زر الإجابة، ووضع الهاتف على أذنه قائلًا: صباح الخير يا سيادة العقيد.

جـاءه صوت العقيد مسـعد قائـلًا بصرامة غاضبة: مـا الذي يعنيه هـذا أيها النقيب؟ كيف انتشر خبر مقتل تلك الصحفية بهذه السرعة؟

عض يسري شفته السفلى بغيظ، وأجاب: لقد قمت باستجواب رئيس تحرير الجريدة التي كانت تعمل فيها الصحفية ألفت يا سيادة العقيد، وحذرته من نشر الخبر، ولكن...

قاطعه مسعد هاتفًا بسخط: هل تدرك حقًا ما الذي يعنيه نشر ذلك الخبر قبل استكمال التحقيقـات؟! هذه الجريـدة متخصصة في تحويل أمر عادي إلى قضيـة رأي عام، وإذا ما حـدث ذلـك، فهذا سـيمثل ضغطًا هائلًا علينـا... لا بد وأن تحل هـذه القضية في أسرع وقت، هل تفهم؟

_ بالتأكيد يا سيادة العقيد.

كان أحمـد قـد انطلق بالسـيارة عندما أنهى يـسري المكالمة مع العقيد مسـعد، وقال في حنق: ذلك الوغد.

أطلق زفرة ملتهبة ليسيطر على أعصابه، ويستعيد صفاء ذهنه، وما لبث أن عاد بتفكيره إلى لقائه مع لينا... كان هناك العديد من الأسئلة والأمور المحيرة التي تشغل باله بشأنها، لكن جملة واحدة فقط استحوذت على تفكيره، وغمغم محدثًا نفسه: هذا لا يعني إلا أحد أمرين، إما أنها القاتلة، أو أن...

قاطعه أحمد قائلًا: ماذا تقول يا سيادة النقيب؟

تنهد يسري وقال: كنت أفكر بصوت عالٍ.

أومأ أحمد برأسه متفهمًا، ثم سأل في اهتمام: سيادة النقيب، لا شك أنك لاحظت أن السيدة لينا كذبت حتمًا في العديد من الأمور، ولديها الكثير مما تخفيه، وليست لديها حجة غياب وقت مقتل الصحفية، وربما كان لها علاقة بالجريمة، فلماذا لم نستكمل استجوابها؟ لقد كانت منهارة تمامًا، وربما كانت ستعترف مع المزيد من الضغوط.

صمت يسري برهة، ثم قال: كل ما تقوله صحيح أيها الملازم، لكن هناك فكرة ما تدور في رأسي، أريد التأكد منها أولًا.

قال أحمد باهتمام: أي فكرة هذه يا سيادة النقيب؟

هم يسري بإجابته، لكنه بدلًا من ذلك قال: دعك من هذا الأمر الآن، أريد منك أن تذهب لمقابلة هؤلاء الأطفال الذين شهدوا حادثة سانت كاترين، فلا شك أنك ستجد لدى أحدهم ما يفيدنا، أما أنا فسأذهب للقاء الصحفي رفعت... لقد أخبرته بأننا نود لقاءه، أليس كذلك؟

_ أجل، وقد طلب أن يكون مكان اللقاء بعيدًا عن منزل والدته، حتى لا يثير الأمر قلقها، واقترح لذلك مقهى الشرق في وسط البلد، كما تواصلت مع السيد فايز شقيق الصحفية ألفت، وطلب أن يكون اللقاء في مكتبه.

_ لا بأس، أرسل لي تلك البيانات على هاتفي.

أوقف أحمد السيارة على جانب الطريق، وأرسل ليسري ما أراد، ثم ترجل من السيارة، عندما أوقفه يسري قائلًا: مهلًا أيها الملازم، اطلب من رجالنا التحقيق في هذين الأمرين.

وعندما أخبره بما يريد، اتسعت عينا أحمد في دهشة، وقال: ما الذي يعنيه هذا يا سيادة النقيب؟

ابتسم يسري في غموض قائلًا: ستدرك بنفسك كل شيء أيها الملازم، عندما تأتيك نتيجة هذا التحقيق، وإذا ما كان ظني صحيحًا، فأعتقد أنني عرفت ما كانت تعنيه تلك الصحفية بمقالها الغامض قبيل وفاتها.

***

بصيص من نور

في تمام الساعة الثانية عشرة إلا الربع، أوقف يسري سيارته أمام مقهى الشرق، ودلف إلى الداخل، وطلب فنجانًا من القهوة...

كان عـدد رواد المقهـى قليلًا في تلك السـاعة من النهار، ومع ذلـك فقد اختار يسري طاولـة جانبيـة في أقصى المقهى ليجلس إليهـا، بعيدًا عن الأنظـار والآذان، منتظرًا قدوم الصحفي رفعت كريم...

حـاول أن يسـترخي في مقعـده، إلا أن عـشرات الأسـئلة والأفـكار المتعلقـة بمقتل الصحفية ألفت اجتاحت عقله دون إجابات...

أخـرج دفـتر ملاحظاته، وأخذ يراجع كل ما سـجله بشـأن القضية، محـاولًا أن يصل إلى إجابات لبعض أسـئلته، إلا أن هناك فكرة واحدة سـيطرت على عقله بقوة، وأزاحت غيرها من الأفكار، فاستسلم لتلك الفكرة وهو يقلبها في رأسه مرارًا وتكرارًا...

وصـل العامـل ليضع أمامـه فنجان القهوة، فشـكره يسري، ورفع الفنجـان إلى فمه، وارتشـف منه رشـفة، وهو يسـبح بأفكاره بعيدًا، عندما سـمع أحدهـم يتنحنح بحذر، فالتفـت بسرعة ليجـد أمامه رجـلًا طويلًا في منتصـف الأربعينات، يرتدي بزة رسـمية كحلية، ويقول بنفس اللهجة الحذرة: أأنت ذلك المحقق؟

وضـع يـسري الفنجان عـلى الطاولة، ووقـف ليصافح رفعـت بهدوء، قائـلًا: وأنت الصحفي رفعت كريم، أليس كذلك؟

_ أجل.

جلس الاثنان في مواجهة بعضهما، والتقط يسري الفنجان ليشرب ما تبقى منه، عندما قال رفعت بلهجة مزهوة: لا شك أنك تتساءل عن كيفية تعرفي عليك.

رفع يسري عينيه إليه دون أن يجيب، فابتسم رفعت، وقال: لقد كنت أذهب إلى هذا المقهى يوميًا لأكتب مقالاتي، قبل أن أنتقل إلى الإسكندرية، لذا فأنا أعرف كل رواده تقريبًا، أضف إلى ذلك أنني تعاملت مع رجال المباحث من قبل، وهم لا يتوقفون عن التفكير، وهذا ما كان عليه حالك عندما دخلتُ إلى المقهى.

ابتسم يسري ابتسامة باهتة، وقال مجاملًا: أنت ذكي يا سيد رفعت.

أطلق رفعت ضحكة مرحة، فقاطعه يسري قائلًا بجدية: ألا ترى يا سيد رفعت أن مرحك هذا غريب، وسط الظروف الحالية؟

قهقه رفعت عاليًا وهو يقول: أي ظروف؟ أتعني موت تلك الحقيرة؟ صدقني لولا الملامة لأقمت احتفالًا بهذه المناسبة.

قطب يسري حاجبيه، وهو يتطلع إلى رواد المقهى الذين التفتوا إليهما، وقال بصرامة: اخفض صوتك يا سيد رفعت، إنك تلفت الأنظار إلينا.

اعتدل رفعت، وقال بجدية: أرجو المعذرة.

ران الصمت عليهما لحظات، ثم قال يسري بحذر: هل كنت تكره زوجتك السابقة إلى هذا الحد؟

ارتسمت الكراهية على ملامح رفعت، وقال: لا يا سيدي، أنت لا تعلم مدى كراهيتي لها، لو اطلعت على قلبي، لعلمت أن كلامي هذا مجرد نقطة في بحر المشاعر التي أكنها لها.

ارتفع حاجبا يسري لحظة أمام هذا الكلام القاسي، وسأل رفعت باهتمام: هل لك أن تخبرني بالسبب وراء تلك المشاعر؟

أطلق رفعت زفرة ملتهبة من أعمق أعماق صدره، قبل أن يقول ببغض هائل: لقد قتلت ابنتي الوحيدة.

اتسعت عينا يسري عن آخرهما وهو يهتف مصدومًا: ماذا؟!

هز رفعت رأسه بأسى، وقال: لقد كانت ألفت امرأة بغيضة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، كانت امرأة شريرة، لا تفكر سوى في مصالحها... لا تسألني أين كان عقلي عندما تزوجتها قبل ٦ سنوات، فقد كان في غيبوبة وقتئذٍ... لقد بهرني جمالها وأسلوبها الناعم، فأغمضت عينيّ، وصَمَمْت أذنيّ عن كل العيوب التي كانت واضحة وضوح الشمس، وتزوجتها وأنا أُمنّي نفسي بالسعادة، خاصةً وأن لي تجربة زواج سابقة فاشلة لم تسفر عن أطفال، لكن أحلامي كلها تبخرت بعد أيام قليلة، ووجدت نفسي أمام إنسانة لا تعرف في الحياة سوى نفسها، ومع ذلك، فقد صبرت عليها، خاصةً بعد أن حملت بعد الزواج مباشرة، آملًا أن تتغير مع الوقت، وأيضًا لأنني كنت أحلم بأن أصير أبًا، ولم أتخيل أبدًا أن تنشأ طفلتنا ممزقة بيننا، لكنني لم أكن أعلم أنها بداية المأساة.

أغمض عينيه بضع لحظات، ثم قال بندم: ربما لا تتخيل ذلك يا سيدي، لكنني احتملت الكثير منها، فقط لأجل طفلتي... لقد كانت زوجتي الأولى ملاكًا، لكن كانت لديها مشاكل في الإنجاب، ومع ذلك لم أصبر عليها وعلى علاجها، وأصررت على طلاقها رغم توسلاتها، بسبب تلهفي على إنجاب الأطفال، كنت وقتها قد تعرفت على ألفت، لذا...

تنهد في مرارة، وتابع: لذا ابتلاني الله بتلك المرأة.

ارتسمت على طرف شفتيه ابتسامة باهتة، واستطرد: معذرة، لقد تطرقت لأمور شخصية.

هز يسري رأسه بلا معنى، وقال بهدوء: لا بأس... أكمل.

ازدرد رفعت لعابه، ثم قال بأسى: عندما أنجبت ألفت ابنتي رجاء، كدت أطير من الفرحة، وأقمت احتفالًا كبيرًا بتلك المناسبة الرائعة... تناسيت كل عيوب ألفت، وقررت أن نبدأ حياة جديدة، لا من أجلنا نحن فقط، وإنما من أجل طفلتنا أيضًا، لكن كانت تلك أمنية من طرف واحد، فقد ازدادت ألفت سوءًا، وأهملت رعاية ابنتي، بل إنها

رفضت إرضاعها طبيعيًا، بحجة أن ذلك يستهلك طاقتها، ويعيقها عن العمل... لقد حاولت مرارًا وتكرارًا إشعارها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها، لكن دون جدوى، بذلتُ مجهودًا كبيرًا لكي أرعى ابنتي، لكن كان الأمر مستحيلًا، وتأثر عملي بشدة... اندلعت بيني وبين ألفت مشاجرات عديدة بسبب إصراري على أن تترك العمل، وإصرارها على معاندتي... حاولت أن أجد حلًا وسطًا، وهو إرسال رجاء إلى أمي لرعايتها في غيابنا، لكنها رفضت ذلك أيضًا، وفي النهاية قررتَ أن تحضر مربية لرعاية رجاء في غيابنا، لكن مهما بلغت كفاءة المربية، فلا يمكن أن تعتني بطفلة غريبة كما تفعل الأم، أو تعوض وجودها، لكنني للأسف لم آخذ موقفًا حازمًا وقتئذٍ كان يمكن أن يمنع المأساة.

دمعت عيناه في تلك اللحظة وهو يستأنف حديثه بمرارة: كانت ابنتي في الثالثة من عمرها، عندما كانت تلعب في الشرفة، دون أن تنتبه إليها المربية... كنت عائدًا من عملي آنذاك، عندما رأيتها تقف على السور، و...

ارتجفت شفتاه وهو يقول: وتسقط من الطابق الرابع.

اتسعت عينا يسري، وهتف بجزع: يا إلهي!

مسح رفعت دمعة كادت تفر من عينيه، واكتسى صوته بألم هائل وهو يقول: ربما لا يمكنك تخيل المشهد يا سيدي بالنسبة لأب عجز عن إنقاذ ابنته، ورآها تسقط أمامه عينيه، غارقة في دمائها، ورأسها مهشم، و...

هز رأسه وكأنه يطرد ذلك المشهد الرهيب من رأسه، وخانته دموعه هذه المرة وهو يستطرد: ذلك المشهد المريع لا زال حتى اليوم يطاردني في صحوي ومنامي.

مسح رفعت دموعه بطرف كمه، وساد الصمت لحظات، قبل أن يتنحنح ويتابع بكل غل الدنيا: تلك الحقيرة هي السبب... لو أنها تخلت عن عملها وقامت برعاية رجاء، لما...

عاد يهز رأسه بأسى، فقال يسري بخفوت: أنا أقدر مأساتك يا سيد رفعت، و...

لم يجد ما يتم به عبارته، ففي تلك المآسي، تُصبح الكلمات عديمة القيمة، وانتاب يسري في تلـك اللحظة شـعور كبير بالشـفقة على هـذا الرجل الذي واجه تلـك المحنة الأليمة، وتمنـى في أعـماق قلبـه ألا يكون له يد فيما حـدث للصحفية ألفت، لكنه كتم مشـاعره في أعماقه، وقال: أكمل يا سيد رفعت.

زفـر رفعت بعمـق ثم قال: بعد ذلـك طلقتها بالطبع... تركت لها الشـقة وكل شيء، وذهبـت لأقيـم مع والدتي، ورغـم ذلك فلم تهدأ، وأخـذت ترفع عـليّ القضايا الكيدية واحدة تلو الأخرى، الأمر الذي أثر على عملي وعلى كل جوانب حياتي.

قال يسري بحذر: ألهذا السبب انتقلت إلى الإسكندرية؟

ـ لا، لقد كان السـبب وراء ذلك هو المشـاكل التي كانت تتعمد إثارتها كلما أتت إلى مقر الجريدة، لذا قام رئيس التحرير بنقلي إلى الإسكندرية.

ـ إذا كانت هي من تتعمد إثارة المشـاكل معك كما تقول، فلماذا لم يقم رئيس التحرير بنقلها بدلًا منك؟

ارتسمت على ركن شفتي رفعت ابتسامة ساخرة مريرة، وقال: إنه لا يستطيع الوقوف أمام تلك الحقيرة.

بدا الاهتمام على وجه يسري وهو يقول: كيف؟

تردد رفعت لحظات، ثم قال: إنها مجرد ملاحظات قد لا يكون لها معنى.

ـ أخبرني بما لديك يا سيد رفعت، ودع لي الحكم على الأمر.

صمت رفعت برهة، ثم حسـم تردده وقال: لم يكن هناك شيء مريب في علاقة ألفت بالسيد عصمت حتى وقت قريب، كانت تتعامل معه كما يتعامل الموظف مع المدير، لكن فجـأة لاحظت أن الوضع انقلب، وبدأت تتعامـل كأنها المديرة وهو مجرد موظف لديها، فكانت تفعل ما تشاء دون أن ترجع إليه، وتتعامل معه باستخفاف واستهانة، والأغرب من ذلك أنه لم يعترض على أسلوبها ذاك أو على أي شيء تفعله... لقد بدا لي وكأنها...

عاد إلى ترديده، فمال يسري نحوه وهو يقول باهتمام بالغ: وكأنها ماذا؟

لم يجب رفعت على الفور، وإنما صمت لحظات ثم قال بخفوت: وكأنها تسيطر عليه بشيء ما.

تراجع يسري في مقعده ببطء...

ما يقوله هذا الصحفي يتفق مع الفكرة التي وضعها مسبقًا بعد حديثه مع رئيس التحرير، ولكن أي شيء ذلك الذي تسيطر به ألفت على مديرها؟ هل تورط ذلك الرجل في أمر ما؟ أم أن هذا الصحفي واهم في تصوراته؟

وكأن رفعت قرأ أفكاره في تلك اللحظة، فقال: قد تعتقد أنني واهم يا سيدي فيما ظننت، لكن هناك ما يدعم أقوالي هذه.

عاد يسري يميل نحوه قائلًا: ما هو؟

_ آخر مرة رأيتها فيها كانت قبل أسبوعين تقريبًا... كنت ذاهبًا إلى مكتب السيد عصمت عندما رأيتها تخرج منه، ولما اقتربت من المكتب سمعته يقول بأنها تستحق القتل.

ازداد الاهتمام في لهجة يسري وهو يقول: هل أنت متأكد؟

أومأ رفعت برأسه وقال: أجل، وعندما دخلت، وجدت السيد عصمت يمسك مسدسه المرخص، ويصوبه نحو الباب، وقد بدا الغضب جليًا على ملامحه.

اتسعت عينا يسري وهو يقول: مسدس؟

_ أجل، لقد تراجعت فزعًا عندما رأيت ذلك، عندها انتبه السيد عصمت، وأخبرني أنه كان ينظف مسدسه، لكنني لم أصدقه بالطبع.

كانت معلومات جديدة تمامًا، تكفي لقلب مسار القضية رأسًا على عقب...

هل كان رئيس التحرير هو من قتل ألفت؟

قرر يسري أن يقوم باستجوابه مرة أخرى بعد أن ينهي تحقيقه مع الصحفي رفعت،

وما لبث أن اعتدل في جلسته وقال: هل لاحظت شيئًا آخر يا سيد رفعت؟ هل تذكر متى بدأت الصحفية ألفت في معاملة السيد عصمت بهذا الشكل؟

صمت رفعت مفكرًا لحظات، ثم هتف في حماس: أجل، كان ذلك منذ شهرين.

أشار إليه يسري بخفض صوته، ثم قال بحذر: هل أنت واثق؟

خفض رفعت صوته وهو يقول: أجل، وتحديدًا بعد وفاة الممثلة ريهام.

انعقد حاجبا يسري، وقال: الممثلة ريهام؟! ما الذي يعنيه هذا بالضبط؟

_ لعلك تذكر يا سيدي أن جريدتنا حصلت على أخبار حصرية من الممثلة ريهام، حول حياتها، وعملها، وعلاقتها بطليقها، والقضايا المقامة بينهما، والكثير من المعلومات والفضائح عن الممثل ماجد وبعض الممثلين الآخرين، وكل شيء يطلبه الجمهور حول تلك الممثلة... كانت ريهام حديث الساعة في تلك الفترة وحتى وفاتها الغامضة، وبسبب تلك المعلومات التي حصلنا عليها ارتفعت مبيعات جريدتنا، وانهالت علينا عروض الإعلانات بمبالغ طائلة... في ذلك الوقت كان السيد عصمت هو من يُجري المقابلات الصحفية مع الممثلة ريهام، وكانت ألفت تذهب معه، ثم قام السيد عصمت بتكليف ألفت بموضوعات أخرى، وصار يذهب وحده لإجراء المقابلات الصحفية مع ريهام، لكن الغريب أن ألفت تركت تلك الموضوعات لبعض المتدربين، بحجة أنها موضوعات تافهة لا تليق بمكانتها، وكانت تنتظر السيد عصمت حتى يغادر الجريدة، ثم تتبعه... لا أعلم في الواقع لماذا كانت تفعل ذلك... وبعد وفاة الممثلة ريهام لاحظت ذلك التغيير الذي طرأ على علاقة رئيس التحرير بألفت.

اندفعت عشرات الأسئلة إلى ذهن يسري بعد انتهاء رفعت من كلامه، دون أن يجد إجابات لها...

ما الذي يعنيه هذا بالضبط؟

هل هناك أمر ما ربط بين هؤلاء الثلاثة؟ وإذا كان كذلك، فما هو ذلك الرابط؟

لماذا تغيرت معاملة الصحفية ألفت لرئيس التحرير بعد وفاة الممثلة ريهام؟

هل هي مجرد مصادفة؟

هـز يسري رأسـه ليطرد هـذه الأسـئلة وغيرها من رأسـه حتى ينتهي مـن تحقيقه مع رفعت...

قال يسري محدثًا رفعت: لا شـك أنك رأيت الأمر غريبًا يا سـيد رفعت، وربما استفز ذلـك الغموض عقلك، ودفعك إلى التفكير في اسـتنتاج منطقـي لكل ذلك، فهلا تخبرني برأيك بصراحة؟ خاصةً وأنك تعرف طليقتك أكثر من أي شخص آخر.

هز رفعت رأسـه بأسف، وقال: يؤسـفني أنني لن أستطيع مساعدتك في هذا الأمر يا سـيدي، فمهما حاولت التفكـير في تلك الأمور الغريبة، أجدني عاجـزًا عن الوصول إلى تفكـير منطقـي، ثم إنني لم أعد أعرف شـخصية ألفت كما تتصور، لقـد تغيرت كثيرًا بعد وفـاة رجـاء رحمها الله، صحيح أنها ظلت نفس الشـخصية البغيضـة الانتهازية، لكن بدا أنهـا قد فقدت جزءًا من عقلها، فقد اتجهت إلى التدخين وشرب الخمور، وصارت تظهر بإطلالات غريبة وشـاذة، كأن تملأ وجهها ويديها ورجليها بمسـاحيق التجميل بصورة عجيبة، أو تقوم بقص شعرها أو تصبغه بصبغات غريبة، كما كانت تتعمد ارتداء ملابس عجيبة ومثيرة للسـخرية، ورغم كل ذلك فقد اسـتبقاها رئيس التحرير بسـبب مقالاتها التي ترفع مبيعات جرائدنا، لكنها لم تنل أي شهرة خارج الجريدة.

أومـأ يسري برأسـه ببـطء، وهو يشرد بنظره وأفـكاره في الفراغ، قبـل أن يتنهد بعمق ويقول: بناءً على كلامك يا سـيد رفعت، فقد كان لدى السـيد عصمت دافع للقتل، هل تعرف أحدًا آخر يملك هذا الدافع؟

أومأ رفعت برأسه، وقال بلهجة واثقة: شقيقها.

تراجع يسري قائلًا في دهشة: شقيقها؟!

_ أجـل، لقـد كتـب والدها قبـل وفاتـه كل ممتلكاته باسـمها دون أن يترك لشـقيقها جنيهًـا واحـدًا... هذا الأمر أثار خلافـات كبيرة بينهما، وبطلاقي لألفـت ووفاتها، صار هو الوارث الوحيد لها.

سأله يسري باهتمام: هل تعلم السبب الذي دفع الأب لأن يحرم ابنه من الميراث؟

_ لا، لم تخبرني ألفت عن ذلك الأمر، ولم أسع لمعرفته.

ها هو ذا مشتبه به جديد في قضية الصحفية ألفت، فهل له يد فيما حدث لها؟

مال يسري نحو رفعت، وتطلع إليه بإمعان قائلًا: هل لك أن تخبرني يا سيد رفعت أين كنت الليلة الماضية، وتحديدًا عند السابعة والنصف؟ إنه الوقت الذي قُتلت فيه الصحفية ألفت.

تردد رفعت لحظات، ثم قال: كنت في الإسكندرية.

_ ماذا كنت تفعل؟ وهل لديك حجة غياب في ذلك الوقت؟

انفرجت شفتا رفعت، وهمّ بقول شيء ما، لكنه ما لبث أن أغلقهما مجددًا، فانعقد حاجبا يسري، وقال بحزم: إخفاؤك للحقائق لن يفيدك يا سيد رفعت، وسيجعلك المشتبه به الرئيسي لدينا، لذا من الأفضل أن تخبرنا بما كنت تفعله مهما كان ذلك الأمر، وإلا فقد تجد نفسك متهمًا بقتل طليقتك.

أنهى كلام يسري تردد رفعت، فتنهد قائلًا: كنت مع آمال في ذلك الوقت.

سأله يسري بحيرة: من آمال؟

_ إنها طليقتي السابقة.

انعقد حاجبا يسري في دهشة، وهو يقول: طليقتك السابقة!

_ أجل، إنها تلك السيدة التي حدثتك عنها، والتي تركتها بسبب مشاكل في الإنجاب... لقد كانت زميلتي في جريدة «خبر عاجل»، ثم انتقلتَ إلى فرع الإسكندرية عقب طلاقنا... لم ألتقيها منذ ذلك الحين حتى انتقلتُ إلى فرع الإسكندرية الأسبوع الماضي، لأجد أنها لم تتزوج حتى الآن... تجددت مشاعري لها، خاصةً وأنها كانت تتعامل معي بود واحترام، وفي الوقت الذي ذكرته، كنت ألتقيها لأعرض عليها أن نعود زوجين كما كنا، لكنها رفضت.

ـ إذًا، في الوقت الذي كانت تُقتل فيه طليقتك الثانية، كنت تعرض الزواج على طليقتك الأولى؟!

ـ هذا صحيح، إنها مصادفة غريبة، لكن هذا ما حدث.

تطلع إليه يسري بشك لحظات، ثم قال له بحزم: سأصدقك القول يا سيد رفعت، أنت أحد المشتبه بهم في جريمة القتل هذه، ولديك دافع قوي، ولا يمكن اعتبار لقائك مع طليقتك السابقة حجة غياب، لذا...

قاطعه رفعت منفعلًا: أنت لا تصدقني، لكنني حقًا لم أقتلها... صدقني لقد راودتني الكثير من الأفكار لأذيتها وحتى قتلها، لكنني لم أستطع، لم أجرؤ على ذلك... عندما أتخيل أن تلك المرأة هي أم ابنتي، أتراجع عن تلك الأفكار.

أطلق زفرة ملتهبة، ثم استطرد في مرارة: لقد خسرت كل شيء... ابنتي، وزوجتي السابقة، واستقراري النفسي، وترقيتي في عملي، وكل ذلك بسبب تلك المرأة، ومع ذلك، حتى بعد وفاتها لا زالت تلاحقني بمشاكلها.

وقف يسري استعدادًا للمغادرة، قائلًا: ربما هناك من لم تخسره بعد يا سيد رفعت.

رفع رفعت عينيه إليه متسائلًا، فاستطرد يسري بهدوء: يمكنك المحاولة مرة أخرى مع طليقتك السابقة، ومن يدري؟ ربما يمكنها أن تتجاوز ما حدث، وتبدأ معك صفحة جديدة.

أشرق وجه رفعت بالأمل وهو يقول: هل تعتقد ذلك؟

أومأ يسري برأسه مؤكدًا، وانحنى ليلتقط دفتر ملاحظاته قائلًا: لن تضرك المحـ...

بتر عبارته فجأة عندما أدرك أخيرًا الشيء المفقود الذي كان يجب أن يكون موجودًا مع الصحفية ألفت وقت مقتلها...

إنه دفتر ملاحظات.

***

دفتر ملاحظات

جلس يسري في سيارته، وغاص بجسده في مقعد القيادة، وهو يفكر في كل المعلومات التي حصل عليها للتو...

لقد ازدادت القضية تعقيدًا بلا شـك، واتجهت نحو منحى آخر غير متوقع، وفي تلك الحالة ينبغي أن يوسع تحقيقاته لتشمل قضية المثلة ريهام أيضًا...

عادت الأسـئلة والأفكار تجتاح عقله، وهو يفكر في كل الاحتمالات التي من الممكن أن يعنيها كلام رفعت، ووجد نفسه أمام احتمالات مخيفة تتطلب التحقيق الفوري...

اعتدل في مقعده والتقط هاتفه ليبحث عن رقم هاتف جريدة "خبر عاجل"، ويضغط عـلى زر الاتصـال، وما هي إلا لحظـات حتى جاءه صوت أنثوي يقول برسـمية: جريدة "خبر عاجل"، تفضل.

قال يسري بصرامة: أنا النقيب يسري مصطفى من المباحث الجنائية، أريد الحديث مع السيد عصمت مدير الجريدة حالًا.

سـاد الصمـت لحظـة، قبل أن تقـول صاحبة الصـوت بتوتـر: أرجو المعذرة، السـيد عصمت سافر إلى الإسكندرية منذ قليل.

_ ماذا؟!

ازداد توتر الفتاة، وهي تقول بتلعثم: يمكنني أن أعطيك رقم هاتفه إذا رغبت.

أجابها يسري بضيق: لا بأس.

أملتـه الفتـاة الرقم، فشـكرها، ثـم أسرع يتصل برقـم عصمت إلا أنه وجـده مغلقًا، فهتف بسخط: ذلك الوغد.

أطلق زفرة ملتهبة محاولًا السـيطرة على أعصابه، ثم طلب رقم النقيب صادق رفاعي زميله في المباحث الجنائية بفرع الإسكندرية، وبعد أن تبادل معه التحية، قال: اسمعني يا صديقي، أنا أحقق حاليًا في قضية معقدة، ولدي معلومات تقول بأن أحد الشهود في هذه القضية سـافر إلى الإسـكندرية، أريد البحث عن ذلك الرجل، إنه عصمت قاسم رئيس تحرير جريدة "خبر عاجل"، لا بد من التحقيق معه في أسرع وقت، لكن انتبه، فهو يحمل سلاحًا مرخصًا.

أجابه صادق بهدوء: حسنًا يا يسري، دع الأمر لي.

شـكره يسري، ثم أنهى الاتصال، ليعود مجددًا إلى أفكاره بشـأن مقتل الصحفية ألفت صابر، ويتوقف عند دفتر الملاحظات المفقود...

مـن غـير المنطقي أن يذهب صحفـي لإجراء مقابلة صحفيـة دون أن يكون معه دفتر ملاحظـات... لقـد رأى الكثير من تلك الدفاتر لدى شـقيقه الصحفـي فارس، كما كان بحوزة تلك الصحفية الكثير من الأقلام...

شعر بالسخط الشديد، لأنه لم ينتبه إلى هذا الأمر منذ البداية، لكن ما الذي يعنيه هذا؟

لقـد أكـد له الصحفي رفعـت أن ألفت من المسـتحيل أن تجري مقابلـة صحفية دون أن يكـون معهـا دفتر ملاحظـات، وأنها اعتـادت أن تترك ذلك الدفتر إمـا في حقيبتها أو سيارتها، تحسبًا لأي طارئ صحفي...

لكن إذا ما كان ذلك الكلام صحيحًا، فلماذا لم يعثروا على ذلك الدفتر؟ هل يعقل أن ألفت قد نسيت أن تأخذه معها هذه المرة؟ أم أن المجرم قد أخذه؟

جال بخاطره احتمال جديد، فاتسـعت عينـاه للحظة وهو يغمغم: يا إلهي! أيمكن أن يكون هذا ما قد حدث؟

أخذ يقلب تلك الفكرة في ذهنه لحظات، ثم قال: نعم، هذا احتمال لا يمكن تجاهله.

انتزع هاتفه بسرعة، وطلب رقم الطبيب الشرعي المسؤول عن تشريح جثة ألفت، لكنه وجد هاتفه مغلقًا، فأطلق تنهيدة ضيق قوية، ثم وضع هاتفه في جيبه، وقاد سيارته إلى الدقي، حيث سيلتقي بعد قليل بالمحاسب فايز شقيق القتيلة، وتساءل في قرارة نفسه: هل يمكن أن يضيف فايز ذاك جديدًا؟ وهل سيساهم في إزالة الغموض عن هذه القضية أم سيزيدها تعقيدًا؟

***

بدا المحاسب فايز واجمًا وهو يستقبل النقيب يسري، ويقوده إلى داخل المكتب...

كان مكتب فايز فخمًا بصورة مبالغة، يحتوي على عدد من المكاتب الخشبية التي تراصت عليها أجهزة الكمبيوتر، وكراسي فاخرة، وعدد من التحف الثمينة.

جلس يسري على أحد الكراسي وأخرج دفتر ملاحظاته، وهو يتطلع إلى فايز الذي بدا في منتصف الثلاثينات، وقد ارتسم الترقب والتوتر على ملامحه، فقال يسري بهدوء: أليس من الأفضل أن تجلس يا سيد فايز؟ قد يطول حديثنا.

جلس فايز أمامه، فبادره يسري قائلًا: البقاء لله يا سيد فايز.

تمتم فايز ببعض الكلمات غير المفهومة، وساد الصمت لحظات، قبل أن يقول يسري: أعلم أن الظروف التي تمر بها الآن قاسية حقًا، ولكن قد يكون لديك ما يمكن أن يفيدنا في الإمساك بالمجرم.

أومأ فايز برأسه بفتور، دون أن يحر جوابًا، فمال يسري نحوه، وقال: هل لك أن تخبرني كيف كانت علاقتك بشقيقتك يا سيد فايز؟

رد فايز باقتضاب: مثل أي علاقة بين الأشقاء.

هز يسري رأسه نفيًا، وقال بهدوء: هذا ليس جوابًا يا سيد فايز... أريد أن أعرف مدى القرب بينكما، هل كنتما تتبادلان الاتصالات والزيارات؟ وكيف كانت علاقتها

بزوجتك وأولادك؟ وكيف كانت علاقتك بزوجها السابق؟ و...

قاطعه فايز بنفس الاقتضاب: جيدة.

شعر يسري بالحنق إزاء هذه الإجابات، إلا أنه كتم مشاعره في أعماقه، واعتدل في مقعده قائلًا بصرامة: متى كانت آخر مرة اتصلت بشقيقتك؟

_ بالأمس.

_ ما السبب؟

_هي من اتصلت بي، طلبت مساعدتي في أمر مهم جدًا، بحسب كلامها.

_ما هو ذلك الأمر؟

_ كل ما قالته إنها ستعطيني صورًا مهمة، وطلبت لقائي اليوم.

انعقد حاجبا يسري، وقال: ما تلك الصور بالضبط؟

_ لا أعلم.

صمت يسري برهة، ثم قال: هل بدت أختك طبيعية عندما حدثتك بالأمس؟

_لا، لقد بدت مضطربة.

_لماذا تعتقد هذا؟

_ أختي ألفت ذات شخصية قوية جدًا، لكن في ذلك اليوم بدا صوتها على غير عادته، كانت...

هز رأسه، وقال: لا أستطيع أن أصف ذلك بالكلمات، لكنها لم تكن في حالتها الطبيعية أبدًا.

_ ألم تسألها عن السبب؟

_لا.

أومأ يسري برأسه بشرود، ثم تطلع إلى فايز، وقال باهتمام: هل حدث شيء غريب مع شقيقتك مؤخرًا؟ هل أخبرتك بشيء ما قد يفيدنا في التحقيق؟

صمت فايز لحظات مفكرًا، ثم هز رأسه نفيًا، وقال: لا، لم يكن هناك...

بتر عبارته وهو يعقد حاجبيه بشدة، قبل أن يقول: اه تذكرت.

_ ماذا؟

_ عندما اتصلت بها، سمعتها تتشاجر مع رجل، وعندما سألتها عن ذلك، قالت بأنها تتشاجر مع شاب يريد إيقاف تحقيقها الصحفي الجديد.

قال يسري باهتمام بالغ: إيقاف تحقيقها الصحفي؟!

_ نعم، إنه ذلك المتعلق بحادثة وقعت قبل ٣ سنوات تقريبًا كما أخبرتني.

_أتقصد حادثة سانت كاترين؟

_لا أعلم، لا أتابع المقالات التي كانت تكتبها أختي.

_هل سمعت شيئًا مما قاله لها ذلك الرجل؟

_لا، لكني سمعتها تقول له بأنها لن تتوقف إلا على جثتها.

_ماذا حدث بعدئذٍ؟

_لا أعلم في الواقع، أعتقد أنه غادر، وانتهى الأمر.

_هل لديك أية فكرة عن هوية ذلك الرجل؟ هل أخبرتك أختك بهويته؟

_لا.

_هل تعلم أين وقعت تلك المشاجرة؟

_أعتقد أنها كانت في طريقها إلى سيارتها بعد أن أنهت عملها.

أومأ يسري برأسه ببطء، وهو يفكر في هذه المعلومات الجديدة، وساد الصمت لحظات، قبل أن يقول يسري: من تعتقد أنه قاتل شقيقتك يا سيد فايز؟

قال فايز على الفور: طليقها بالطبع.

_ لماذا تعتقد هذا؟

_ لقد سقطت رجاء من الطابق الرابع، عندما كانت ألفت في عملها، ومنذ ذلك الوقت يتهمها رفعت بالتسبب في وفاة رجاء، وينقم عليها بسبب ذلك، حتى إنه هددها بالقتل.

انعقد حاجبا يسري وهو يغمغم: هددها بالقتل!

_ نعم.

_متى كان ذلك؟

_بعد وفاة رجاء مباشرة، كان في حالة من الغضب الشديد، حتى إن الجيران اتصلوا بالشرطة، خوفًا من أن يتسبب في إيذاء ألفت.

عقد يسري حاجبيه قائلًا: أتقول بأن الجيران هم من اتصلوا بالشرطة؟ أين كنت أنت وسط تلك الظروف؟

ارتبك فايز بشدة وهو يقول: أنا... لقد... لا أذكر في الواقع.

أدرك يسري أنه يكذب، فقال بصرامة: اسمع يا سيد فايز، نحن نعلم جيدًا أنه كانت هناك مشاكل بينك وبين شقيقتك، ولدينا شهود على ذلك، فإذا كذبت علينا...

قاطعه فايز قائلًا بعصبية: إنها أمور شخصية لا شأن لها بمقتل ألفت.

رد يسري ببرود: لا يا سيد فايز، نحن الآن نحقق في جريمة قتل، والقاتل لم يُقبض عليه بعد، وإصرارك على إخفاء الحقائق لا يعني لنا سوى أحد أمرين، إما أنك القاتل، أو أنك تحاول مساعدة القاتل على الإفلات بجريمته.

قال يسري جملته الأخيرة بقسوة، فاتسعت عينا فايز، وهتف بذعر: لا، أنت مخطئ... أنا...

قاطعه يسري قائلًا بلهجة جافة: ما سبب خلافاتك مع شقيقتك؟

صمت فايز لحظات، ثم قال بخفوت: الميراث.

_ ماذا بشأنه؟

_ لقد كتب أبي كل أملاكه لألفت قبل وفاته، ولم يترك لي شيئًا... كان ذلك قبل وفاة رجاء بفترة قصيرة، ورفضت ألفت أن تعطيني نصيبي من الميراث، فلجأتُ إلى القضاء، لكن بدون فائدة، ومنذ ذلك الحين وهي لا زالت على موقفها.

صمت يسري لحظات، ثم قال: أليس من الغريب يا سيد فايز أن تسعى شقيقتك للاتصال بك، وطلب مساعدتك، رغم رفضها إعطاءك نصيبك من الميراث؟

تنهد فايز بعمق، ثم قال: الواقع عندما طلبت تلك المساعدة مني، أخبرتني بأنها ستعطيني جزءًا من نصيبي من الميراث... لقد اندهشت في الواقع، لكني وافقت ما دمت سأحصل على نصيبي، فأخبرتها باستعدادي تقديم يد المساعدة لها مقابل أن تعطيني نصيبي كاملًا.

_ وماذا كان ردها؟

_لم ترفض، ولم توافق أيضًا، طلبت أن نلتقي أولًا قبل أن نتفق على السعر.

ارتفع حاجبا يسري لحظة، وغمغم قائلًا: عجبًا!

عاد الصمت يلف المكان، قبل أن يميل يسري نحو فايز قائلًا: لماذا حرمك والدك من الميراث يا سيد فايز؟

تردد فايز لحظات، قبل أن يقول: كان والدي يعترض على الكثير من تصرفاتي، لذا حرمني من الميراث.

_ أي تصرفات تلك التي تجعل والدًا يحرم ابنه نصيبه من الميراث؟

احتقن وجه فايز، وقال بعصبية: هذا لا علاقة له مطلقًا بالتحقيقات في مقتل ألفت.

تجاهل يسري هذه النقطة، وسأل فايز: أين كنت عند السابعة والنصف مساء أمس؟

قال فايز بسرعة: كنت في المنزل.

_ ألديك شهود على ذلك؟

_لا، أسرتي كانت مسافرة إلى مرسى مطروح، وعادت فجر اليوم.

أومأ يسري برأسه، ثم وقف قائلًا: أليس من الغريب أنك جئت إلى العمل اليوم، رغم أنه لم يمر حتى ٢٤ ساعة على مقتل شقيقتك؟

وقف فايز بدوره، وقال في اضطراب: لا، المكتب مغلق اليوم، لكني دعوتك إلى هنا، لأني لم أشأ أن أزعج أسرتي.

مط يسري شفته السفلى بلا اقتناع، ثم قال وهو يتجه إلى الخارج: حسنًا يا سيد فايز، شكرًا لك.

وما إن غادر المكان، حتى أغلق فايز الباب ورائه، وبدا منفعلًا وهو يقول: يا إلهي! ماذا لو كشفوا ذلك الأمر؟

***

تناول يسري غداءه في أحد المطاعم، ثم صلى المغرب، وقاد سيارته عائدًا إلى مركز الشرطة، والمزيد من الأسئلة تدور في ذهنه دون إجابة...

ماذا حدث يوم مقتل الصحفية ألفت؟

لماذا لجأت ألفت لطلب المساعدة من شقيقها بالذات رغم توتر العلاقة بينهما؟

وما تلك الصور التي جعلت ألفت تتخلى عن تعنّتها السابق بشأن ميراث شقيقها، وتوافق على إعطائه جزءًا من نصيبه إذا وافق على مساعدتها؟

ثـم من ذلك الرجل الغامض الذي كان يحاول إيقاف تحقيق ألفت عن حادثة سـانت كاترين؟ هل لذلك الرجل علاقة بالجريمة؟

من الذي قتل ألفت؟ هل يمكن أن يكون لشقيقها فايز أو طليقها رفعت يد في مقتلها؟

كلاهما يمتلكان الدافع، لكن كيف يمكن للمجرم أن يعرف مكانها في تلك اللحظة؟

نعم، هذا هو السؤال المهم الذي سيتوصل من خلاله إلى المجرم...

بحسـب المعلومات المتوفرة لديهم حتى الآن، الشـخص الوحيد الذي كان يمكنه أن يعرف مكانها هو المدرب كمال رجب، لكن هذا الأخير لديه حجة غياب قوية، و...

لا، ربما كان هناك أشخاص آخرون يعلمون بتحركات ألفت، وهو يشك في شخص مـا، لكنـه ليـس متأكدًا من ذلـك بعد، لـذا طلب من المـلازم أحمد أن يتحـرى عن ذلك الشخص، فهل توصل الملازم أحمد إلى شيء جديد؟

أخذت المزيد من الأسئلة والأفكار والاحتمالات تحتدم في رأسه حتى وصل إلى مركز الشرطة، فركن سيارته في المكان المخصص لها، ودلف إلى الداخل وهو يلقي التحية على زملائه عندما وجد الملازم أحمد يتقدم نحوه بابتسامة كبيرة، ويقول: مساء الخير يا سيادة النقيب.

ابتسم يسري قائلًا: مساء الخير أيها الملازم... يبدو أن لديك جديد.

اتسعت ابتسامة أحمد وهو يقول بحماس: جديد! لدي قنبلة يا سيادة النقيب... أعني قنبلتين.

كانـا في طريقهـما إلى مكتـب يـسري، فأخرج هذا الأخـير مفتاح غرفـة المكتب، وهو يقول: خيرًا!

هم أحمد بالإفصاح عما لديه، عندما أوقفه يسري قائلًا: مهلًا، أريد فنجانًا من القهوة أولًا، فهذه القضية أصابتني بصداع شديد.

قال أحمد: حالًا يا سيادة النقيب.

فتح يسري المكيف، وجلس إلى مكتبه، وبذل مجهودًا كبيرًا ليبعد القضية عن تفكيره حتى يتمكن من استعادة صفاء ذهنه، لكنه لم يستطع، وعاد من جديد إلى ما كان عليه.

استغرقه التفكير تمامًا حتى إنه لم ينتبه إلا عندما سمع أحمد يقول بحذر: سيادة النقيب؟

رفع يسري عينيه، فوجد أحمد يحمل صينية عليها فنجانان من القهوة، وضع أحدهما أمام يسري، ثم جلس قبالته وهو يمسك بفنجانه قائلًا: يبدو أن هناك ما يشغل بالك يا سيادة النقيب.

تنهد يسري تنهيدة عميقة، ثم قال: هذه القضية تزداد تعقيدًا في كل خطوة نخطوها أيها الملازم.

ارتشف أحمد رشفة من القهوة، وقال باهتمام: ماذا حدث بالضبط؟

أخذ يسري بدوره رشفة من فنجانه، وروى له ذلك الحوار الذي دار بينه وبين الصحفي رفعت كريم، وعن زيارته لفايز شقيق ألفت، واستمع إليه أحمد باهتمام وهو يحدثه عن كل الاحتمالات والأفكار التي تدور في باله، حتى أنهى يسري حديثه، فوضع أحمد فنجانه الفارغ على الصينية، وقال: أنت محق يا سيادة النقيب، هذه القضية تزداد غموضًا وتعقيدًا، ولا بد أن ندرس كل هذه الاحتمالات.

أومأ يسري برأسه مؤيدًا، وقال: سنفعل ذلك أيها الملازم، لكن هناك ثلاثة أمور لا بد أن نبدأ بها... اطلب من رجالنا سؤال الصحفيين في جريدة «خبر عاجل» عن العلاقة بين الصحفية ألفت ورئيس تحرير الجريدة، وأريد منهم إجراء تحريات عن شقيق الضحية وطليقها، والتحقق من حجج غيابهم، أما الأمر الأخير، فهو أن نعثر على ذلك الرجل الذي قابل الصحفية ألفت في أثناء خروجها من عملها، وحاول إيقاف تحقيقها الأخير.

أجابه أحمد قائلًا بحزم: أمرك يا سيادة النقيب.

ارتشف يسري رشفة أخرى من فنجانه، وقال بحزم: هل تم تفتيش شقة الصحفية ألفت؟

أومأ أحمد برأسه، وقال: نعم، لكنهم لم يعثروا على شيء يمكن أن يفيدنا في القضية.

أطلق يسري تنهيدة قوية، وصمت لحظات، قبل أن يقول: لا بأس... أخبرني الآن بما لديك أيها الملازم.

اعتدل أحمد في مجلسه، وقال باهتمام: لقد قابلت بعض الأطفال الذين كانوا مع المدرب كمال رجب في رحلة سانت كاترين... لقد أدلى أحدهم بشهادة مثيرة للاهتمام... قال إنه كان معهم شاب من المستوى الأول في رياضة التزلج، وقد عهد إليه المدرب كمال بتدريب ورعاية بعض الأطفال، بمعنى آخر لقد قسم المدرب كمال الأطفال إلى فريقين، فريق تحت إشرافه، والآخر بقيادة ذلك الشاب.

انعقد حاجبا يسري بشدة وهو يقول: لا تقل لي إن رامي...

أومأ أحمد برأسه، وقال بأسف: هذا صحيح، كان رامي في ذلك المعسكر الذي تولاه ذلك الشاب.

تصاعد انفعال يسري في تلك اللحظة، إلا أنه كتم انفعالاته في أعماقه، وهو يشير لمساعده بأن يكمل، فاستطرد أحمد: لقد وقع الحادث قبيل الفجر، كان الأطفال نائمين، لكن بعضهم استيقظ على الجلبة التي أصدرها المدرب كمال وذلك الشاب، وهما يناديان الطفل رامي، لقد طلب منهم المدرب كمال أن يبقوا في المعسكر، وألا يتحركوا مطلقًا حتى يعود، وبحسب شهادة الشاهد، فقد عاد الأطفال إلى النوم، لكن الشاهد بقي مستيقظًا حتى عاد المدرب كمال والشاب الآخر، وسمع ذلك الأخير وهو يبكي قائلًا: "لا أدري كيف حدث لرامي هذا... لا أدري"... لكنه لم يفهم ما عناه بتلك العبارة حتى علموا بوفاة رامي... لقد دافع الشاهد عن الشاب، مؤكداً على معاملته الطيبة لرامي، وأفاد بأنه الوحيد الذي كان يستطيع التعامل مع رامي هو والمدرب كمال، وعندما سألته عما كان يعتقد أن ذلك الشاب كان السبب في وفاة رامي، نفى ذلك بشدة.

أطلق يسري زفرة قوية سيطر بها على انفعالاته، ثم قال بحزم: لا بد من العثور على ذلك الشاب بأي ثمن أيها الملازم.

ابتسم أحمد قائلًا: لقد فعلت يا سيادة النقيب.

قال يسري بحيرة: فعلت ماذا؟

_ لقد ذهبت إلى النادي الذي كان يعمل به المدرب كمال وقت الحادث، وتحريت عن ذلك الشاب، وعلمت أنه كان أحد أعضاء رياضة التزلج البارزين، وكان عضوًا في فريق الكشافة أيضًا، لكنه ترك النادي بعد الحادث دون سبب... أجريت المزيد من التحريات عنه، وعلمت أنه طالب في الفرقة الثالثة بكلية الطب، يدعى محمود سالم، لكني لم أتمكن من مقابلته، لأنه كان يحضر دورة طبية، فتركت أحد رجالنا في انتظاره حتى ينتهي، ويأتي به إلى هنا.

ارتفع حاجبا يسري وقال بإعجاب: رائع أيها الملازم... أحسنت عملًا بحق.

ابتسم أحمد بسعادة قائلًا: حقًا؟

أنهى يسري فنجانه في تلك اللحظة، وتراجع في مقعده وهو يقول: أشعر الآن أنني في حال أفضل.

قال أحمد: هناك أمر آخر يا سيادة النقيب.

اعتدل يسري قائلًا: ماذا هناك؟

_ إنه الأمر الذي طلبت مني التحري بشأنه.

بدا على يسري الحيرة لحظة، ثم ارتفع حاجباه قائلًا: اه، ماذا فعلت؟

_ لقد ذهب بعض رجالنا إلى المدرسة التي تعمل فيها السيدة لينا، وقد أشاد كل زملائها بمعاملتها لرامي، وقالوا بالنص: "إنها كانت تعامله كما لو كان ابنها"... لا غبار عليها في هذه النقطة.

أومأ يسري برأسه متفهمًا، وقال: أهناك شيء آخر؟

_ لقد عرفنا أن أصحاب الأرقام غير المسجلة التي وردت للضحية في الأسبوع

الأخـير، لا علاقـة لهم بها، فهم إمـا اتصلوا عن طريق الخطأ، أو كانـوا يقدمون خدمات إعلانية، ولكن...

_ ولكن ماذا؟

بدت الحيرة على وجه أحمد وهو يقول: لقد حصلت من شركة الاتصالات على سجل بمكالمات السيدة لينا ومكالمات المدرب كمال رجب كما طلبت، ولكن...

أخـرج من جيبـه ورقتين أعطاهمـا ليسري وهو يسـتطرد: إنه سـجل المكالمات، انظر بنفسك يا سيادة النقيب.

راجع يسري سـجل المكالمات، ثم ارتسـمت على شـفتيه ابتسـامة هادئة وقال: كنت أتوقع ذلك.

ارتسـمت الدهشـة على وجـه أحمد وهو يقـول: كنت تتوقـع ذلك؟! كيف يا سـيادة النقيب؟! وما الذي يعنيه ذلك بالضبط؟

وقف يسري قائلًا: ستعلم الآن أيها الملازم... ستخبرنا السيدة لينا بنفسها.

ثم استطرد بارتياح: أعتقد أننا بدأنا نكشف بعض غموض هذه القضية.

***

علاقات متشابكة

بـدا التوتر ملحوظًا على وجه السـيدة لينا، وهي تسـتقبل ضابطي المباحث في شـقتها للمرة الثانية، وقالت في اضطراب: ماذا هناك هذه المرة؟

كانت غرفة الاستقبال خالية تمامًا من أي أثاث، على عكس ما كانت عليه في الصباح، وفي حين ارتسـم الاسـتغراب على وجـه أحمد، بدا يسري هادئًا تمامًـا، وهو يتطلع إلى لينا بنظـرات ثاقبـة، فارتبكـت هذه الأخيرة بشـدة، وأشـاحت بوجههـا بعيدًا عـن نظراته، فبادرها يسري بقوله في هدوء: أين ذهب أثاث شقتك يا سيدة لينا؟

قالت بتوتر: أنا على وشك الانتقال من الشقة.

قالـت عبارتها، ثم اتجهت نحو الشرفة التـي خلت بدورها من الأغراض الفوضوية، وأحضرت كرسيين صغيرين، وضعتهما أمام الضابطين وهي تقول: تفضلا.

أشار يسري إلى أحد الكرسيين قائلًا: اجلسي أنتِ يا سيدة لينا.

جلـس يسري قبالتها، ومـال نحوها قائلًا بصرامة باردة: هل خططتِ لقتل الصحفية ألفت مع السيد كمال رجب؟

انتفض جسدها بقوة، واتسعت عيناها في ارتياع، ثم قالت: مـ... ماذا تقول؟

أخرج يسري ورقة من جيبه احتوت على الكثير من أرقام الهواتف المحمولة، عرضها أمـام لينـا، وقال وهو يشـير إلى رقم معين تكـرر عدة مرات في الصفحة: هذا هو سـجل مكالماتـك خلال أسـبوع يا سـيدة لينـا، كما ترين هـذا الرقم هو رقم السـيد كـمال، وقد اتصلتِ به ما لا يقل عن ١٠ مرات خلال أسبوع، وبمراجعة سجل مكالمات السيد كمال

وجدنا أيضًا أنه اتصل بكِ عدة مرات، فما الذي يعنيه هذا بالضبط؟

شحب وجه لينا بشدة، ولم تحرِ جوابًا، فانعقد حاجبا يسري واكتسبت لهجته صرامة شديدة وهو يقول: سيدة لينا، عندما سألتكِ أين كنتِ ليلة مقتل الصحفية ألفت، كان جوابكِ بأنكِ لم تقتلي الصحفية، وأنكِ كنتِ في شقتكِ في الساعة السابعة والنصف مساءً.

كان أحمد يقف على مقربة منهما، يتابع ما يجري بصمت وترقب، وتابع يسري بعد لحظات من الصمت: أنا لم أخبركِ أبدًا بالوقت الذي قُتلت فيه الصحفية يا سيدة لينا، فكيف علمتِ بتوقيت الجريمة؟ هذا لا يعني سوى شيء واحد، وهو أنكِ القاتلة.

ارتعدت فرائص لينا، وازداد شحوب وجهها حتى حاكى وجوه الموتى، وهتفت بصوت متحشرج: أنت مخطئ، أنا لم أقتلها... أقسم بالله لم أفعل.

_ كيف علمتِ بتوقيت الجريمة إذًا؟

ترددت لحظات، ثم أطرقت برأسها وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة، فقال يسري بصرامة: لم أسمعكِ.

رفعت رأسها إليه، وقالت والدموع تسيل من عينيها: كمال هو من أخبرني.

_ لماذا أخبركِ؟ ما العلاقة التي تربطكِ به؟

ترددت لحظات، ثم أطرقت برأسها مجددًا، وقالت: إنه خطيبي.

تفجرت الدهشة في وجه أحمد، في حين تراجع يسري في مقعده بهدوء، دون أن تبدو على وجهه أية انفعالات، وساد الصمت لحظات، قبل أن ترفع لينا رأسها لتقول وهي تمسح دموعها بكفيها: كنا أنا وكمال جارين منذ الصغر، ربطت بيننا علاقة صداقة قوية في طفولتنا، ومع وصولنا إلى مرحلة المراهقة، انقطعت تلك العلاقة، لكن بحكم الجيرة، كنا نتقابل أحيانًا بالصدفة على السلم أو في الشارع، ورغم أننا لم نكن نتبادل الكلام إذا التقينا صدفة، إلا أن مشاعر الحب ربطت بيننا، دون أن يعلم بها أحد سوانا.

صمتت لحظات لتلتقط أنفاسها، ثم تابعت: ظللنا على تلك الحال طوال سنوات الدراسة، لم يحاول خلالها كمال أن يتحدث معي أبدًا، أو يقدم على أي تصرف قد يسيء إليّ، وبعد أن أنهى دراسته التحق ببعض النوادي ليعمل فيها، والتحقت أنا بإحدى المدارس بعد أن أنهيت دراستي، وعملت أخصائية اجتماعية، وهناك تعرفت على رامي.

شردت ببصرها، وعادت الدموع تسيل من عينيها وهي تتابع: كان رامي أقرب الأطفال الذين تعاملت معهم إلى قلبي، كان ذكيًا وحنونًا ومتعلقًا بي كثيرًا، لأنه فقد والدته منذ صغره، حتى إنه كان يناديني بأمي.

هزت رأسها بأسى، وقالت من وسط دموعها: يا إلهي! كم أفتقده، وأفتقد حنانه!

صمتت لحظات، مسحت خلالها دموعها، ثم أردفت بخجل: في يوم ما، مرضت مرضًا شديدًا، وحصلت على إجازة مرضية، وجاءت والدة كمال لزيارتي، وأخبرتني أن ابنها قد بات مستعدًا لأن يتقدم لي، وأنه سيطلب يدي من أبي بعد أسبوع، وبعد أن غادرت الطبيبة رنا، فوجئت بأبي يخبرني بأن هناك عريسًا طلب يدي منه، وهذا العريس هو والد رامي!

علمت بأنه كان يتابعني منذ فترة باعتباري الأخصائية الاجتماعية لابنه، ولما تغيبت عن المدرسة، تحدث مع المدير، وأخبره بأنه يريد أن يتقدم إلي، فأعطاه المدير رقم هاتف أبي، فكلمه وطلب يدي منه... أخذتني المفاجأة، وأخبرت أبي أن جارنا كمال سيتقدم لخطبتي قريبًا، لكن أبي رفض بإصرار، فقد كان يريد تزويجي لرجل غني، وكان والد رامي كذلك، في حين كان كمال في بداية طريقه... خضعت لإرادة أبي رغمًا عني، وتزوجت من عادل، كان يعاملني باحترام شديد، ويلبي لي كل رغباتي، ويحرص على راحتي وراحة ابنه، كانت علاقتنا مبنية على الاحترام فقط، لكن لم تكن هناك أي مشاعر بيننا، حتى إنه طلب مني عدم الإنجاب، لقد بدا لي أن هدفه الوحيد من الزواج بي كان أن أرعى رامي.

كان يسري يستمع إليها باهتمام حتى وصلت إلى هذه النقطة، فقال بهدوء: كيف تعرّف رامي على المدرب كمال؟ هل كان لك يد في ذلك؟

هزت رأسها نفيًا، وقالت: لقد انقطعت علاقتي بعائلة كمال تمامًا منذ زواجي... لقد تفاجأت بزوجي يخبرني بأن صديقًا له نصحه بإرسال رامي ليتدرب على رياضة التزلج، واقترح عليه المدرب كمال... لقد تفاجأت بذلك، ولّما كنت أنا من أعتني برامي، فقد ذهبت به إلى النادي، وقابلت كمال، لكني بالطبع تعاملت معه كما أتعامل مع أي رجل غريب، وهو كذلك عاملني برسمية كما يتعامل مع غيري، ونجح رامي في تلك الرياضة نجاحًا مبهرًا، ولكن...

ارتسم الحزن على وجهها، وهي تردف: طوال ذلك الوقت لم أكن أعلم شيئًا عن زوجي، كانت علاقتنا غريبة نوعًا ما، فكل حديثنا كان يتمحور حول رامي، ولم نتحدث يومًا عن عمله أو حتى عملي أو عن زوجته السابقة، كان غامضًا بدرجة كبيرة، وفجأة مرض وتدهورت حالته بسرعة غريبة، وإذ به يخبرني أنه مصاب بمرض نادر ومميت من قبل أن يتزوجني، ولّما كان يخاف أن يموت، ويترك ابنه إلى المجهول، ولم يكن له أي أقارب، فقد رأى أن يتزوج بمن تهتم بابنه، ويطمئن عليه قبل أن يموت، ولم يجد خيرًا مني _كما قال_ لرعاية رامي.

ترقرقت عيناها بالدموع، وتابعت: في الأيام الأخيرة من حياته، حدثني عن حياته السابقة، وعن كل ما رغبت في معرفته، كما صارحني بمشاعره لأول مرة، واكتشفت بأنه أحبني منذ زواجه بي، لكنه لم يسمح لنفسه بالإفصاح عن تلك المشاعر حتى لا يكون الفراق قاسيًا عليّ.

سالت الدموع على وجنتيها، مستطردة: اعتذر لي لأنه لم يخبرني بمرضه، وكتب كل أملاكه باسمي وباسم ابنه، وأعطاني الضوء الأخضر للزواج من بعده، بشرط أن يبقى رامي معي، وأن أهتم به كما كنت أفعل دائمًا، ووعدته بذلك، وبعد ذلك الحديث الطويل بيننا، أحببته حبًا شديدًا، وتمنيت حقًا لو عاش أكثر، لأعوضه عن فتوري معه طوال مدة زواجنا، ولكن...

انخرطت ببكاء مرير، وأخذت تنتحب لبعض الوقت، فأعطاها يسري منديلًا، مسحت به دموعها، وبعد أن هدأت قليلًا، أكملت: بعد وفاته رحمه الله، واصلت رعاية رامي، وبذلت مجهودًا كبيرًا ليتخطى وفاة والده، ونجحت جهودي بفضل الله، وتقدم رامي في دراسته، ونال بطولة عالمية.

طوال تلك الفترة، كان تعاملي مع كمال كما هو، لكن بعد أن نال رامي تلك البطولة، فوجئت به يتقدم لطلب يدي من جديد... صارحته بأنني لم أتخطَّ بعد وفاة زوجي، وأنني لا زلت أحبه، ولا يمكنني أن أصير زوجة لرجل آخر حاليًا، فاحترم رغبتي، وأخبرني بأنه سينتظرني حتى أتجاوز تلك المرحلة، وسيتقدم لي مرة أخرى... كان ذلك الحديث قبل أيام قليلة من حادثة سانت كاترين.

هزت رأسها بمرارة، وعادت إلى البكاء، وهي تتابع: كانت صدمة وفاة رامي قوية بحق، ولم أستطع أن أتخطاها حتى الآن... شعرت بفراغ هائل بعد وفاته، وأصبت باكتئاب حاد، فترددت على طبيب نفسي، حتى استطعت تمالك نفسي، والعودة لممارسة حياتي بشكل طبيعي.

ساد الصمت من جديد حتى توقفت لينا عن البكاء، وأردفت: خلال تلك الفترة، حدث الكثير، فقد فُصل كمال من عمله، وحُبس لمدة ٦ أشهر بسبب تلك الحادثة، ثم سافر إلى تركيا، ليبدأ حياة جديدة، وعادت والدته لتتواصل معي من جديد، وبعد فترة بتُّ على استعداد للزواج مرة أخرى، فقد اشتدت وطأة الوحدة عليّ، ولم يكن لي أي أقارب بعد وفاة والدي رحمه الله، كما أنني بدأت أشعر بقلبي يتفتح من جديد لكمال الذي كان يتصل بي بين الحين والآخر ليطمئن عليّ، وأعطيته الضوء الأخضر ليتقدم لي من جديد، فعاد إلى مصر، وشجعتنا والدته على الإسراع بالخطوبة، ولكن...

أطلقت زفرة ملتهبة، ثم قالت بحنق: لكن خبر خطبتنا وصل بطريقة ما إلى تلك الصحفية الحقيرة التي دمرت حياة كمال من قبل، وأخبرني كمال بأنها اتصلت به، وطلبت أن تجري معه مقابلة صحفية بشأن حادثة سانت كاترين إلا أنه رفض، لقد حاولتْ كثيرًا،

حتى إنها ذهبت إليه في عمله الجديد، لكنه أصر على الرفض، وهددها بإبلاغ الشرطة إذا لم تتوقف عن إزعاجه، فما كان منها إلا أن اتصلت بي، وأخبرتني بأنها ستكتب مقالة تلمح فيها بأننا سعينا أنا وكمال للتخلص من رامي، لنتزوج دون أية مسؤوليات.

ارتسمت الدهشة على وجهيّ أحمد ويسري، في حين تابعت لينا بكراهية: هل رأيت أحقر من ذلك؟!

لقد توسلت إليها أن تتركنا وشأننا، لكنها ضحكت باستهزاء، وأنهت المكالمة... أبلغتُ كمال بما حدث، فطلب مني أن أهدأ، وأخبرني بأنه سيتصرف.

صدقني، لقد تمنيت حقًا أن تموت، حتى نرتاح من شرها، لم يسبق لي أن تمنيت لأحد الموت من قبل، لكنني لم أتخيل أبدًا أن تسيء إليّ في مقالاتها، وتجعل سيرتي على كل لسان، كما فعلت مع كمال، كان تخيل ذلك كفيلًا بتدميري، بعد أن تجاوزت تلك الفترة بصعوبة بالغة، لكنني أقسم بالله بأنه لم يكن لي يد في موتها أبدًا، ولم ألتقِ بها إلا مرة واحدة بعد حادثة سانت كاترين، ولم أعلم بوفاتها إلا بعد لقائكما بكمال.

أنهت كلامها، وأطلقت تنهيدة قوية، وساد الصمت لحظات، ثم قال يسري بهدوء: أين كنتِ إذن ليلة الجريمة يا سيدة لينا؟

قالت لينا بعد أن استعادت هدوءها: لقد ذهبت إلى المستشفى لمرافقة السيدة رنا، فقد اتصل بي كمال وأخبرني بأن والدته ذهبتْ إلى المستشفى، وأنه لن يستطع المجيء معها، لأنه مرتبط بموعد مهم، كان ذلك قبيل الساعة الثامنة مساءً... هذا ما حدث.

ارتفع رنين هاتف أحمد في تلك اللحظة، فالتقطه من جيبه، واتجه نحو الباب ليجيب على محدثه، في حين قال يسري مخاطبًا لينا: هل كنتِ تعلمين بأن السيد كمال سيقابل تلك الصحفية؟

_ لا، لم يخبرني بذلك إلا بعد مقتلها.

أومأ يسري برأسه متفهمًا، ثم قال وهو يشير إلى غرفة الاستقبال الخالية من أي أثاث: أعتقد بأنكما تخططان للزواج قريبًا، أليس كذلك؟

أومأت برأسها مؤيدة، وقالت بخجل: بإذن الله.

صمت يسري مفكرًا لحظات، ثم وقف قائلًا: حسنًا يا سيدة لينا، سأصدق كلامك، لكن إذا تبين أنكِ كذبتِ في أي شيء، فثقي بأنني لن أرحمكِ.

وقفت لينا بدورها وهي تقول بحرارة: أقسم بالله أنني أخبرتك بالحقيقة، ولا شيء غيرها.

أومأ يسري برأسه، واتجه إلى الباب، وقال: حسنًا، ثقي بأننا عندما نتأكد من براءتكِ، فلن نزعجكِ مرة أخرى.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة جميلة، وبدا عليها الارتياح الشديد، وهي تغمغم: أرجو أن تتأكد من براءتي في أسرع وقت يا سيدي، فقد ضقت ذرعًا بتلك المشاكل التي سببتها لي تلك الصحفية.

***

في أثناء عودتهما إلى مركز الشرطة، قال أحمد باهتمام، وهو يقود السيارة: سيادة النقيب، كيف علمت أن السيدة لينا على علاقة بالمدرب كمال؟ كان من الواضح أنك تعلم بهذا الأمر مسبقًا.

تراجع يسري في مقعده، وقال: لقد شككت في وجود علاقة بينهما في أثناء تحقيقنا مع المدرب كمال... أتذكر انفعاله في أثناء حديثه عن السيدة لينا؟ لقد بدا انفعاله غريبًا جدًا، فهو يتحدث عن سيدة من المفترض أنها لا تعني له شيئًا أكثر من كونها مجرد والدة لأحد تلاميذه قبل أكثر من ٣ سنوات، كما كان من الواضح أنه يعلم عنها الكثير، حتى إنه يعلم بدقة تاريخ وفاة زوجها...

بالطبع كانت تلك مجرد شكوك قد لا يكون لها أي معنى، لكن زادت تلك الشكوك أكثر في أثناء التحقيق مع السيدة لينا... أتذكر عندما سألتها عن المشرف الذي رافق السيد كمال إلى سانت كاترين؟ لقد بدت عصبية بصورة غريبة، ربما تُفسَّر تلك العصبية أنه باعتبارها

والـدة أحـد الأطفال الذين رافقوا السـيد كمال في تلك الرحلة كان مـن المفترض أن تعرف تفاصيـل الرحلة والمشرفين عليهـا، لكني رأيت الأمر بنظرة أخرى، لقـد بدت لي عصبيَّتها شـخصية تمامًـا، وكأن السـيد كمال من المفـترض ألا يخفى عنها شـيئًا هي بالـذات، كما هو الحال بين المرتبطين... تأكدت تلك الشـكوك عندما سـألتها عن مـكان وجودها ليلة مقتل الصحفية ألفت، وكان جوابها أنها كانت في شـقتها في السـاعة السـابعة والنصف أي وقت مقتل الصحفية، لكن كيف علمت بتوقيت الجريمة؟ هذا جعلني أمام احتمالين لا ثالث لهما، إما أنها القاتلة، لأن القاتل هو من سـيعلم بذلك الأمر، أو أن السـيد كمال هو من أخبرها، لأنـه الوحيـد آنذاك الذي أخبرته بالوقت الذي قُتلت فيـه الصحفية في أثناء تحقيقي معه... لذا طلبت منك أن تتحرى عنها، وأن تحصل على قائمة باتصالاتها خلال هذا الأسبوع.

رفع أحمد حاجبيه بإعجاب، وقال: أنت مدهش يا سـيادة النقيب، أنت تنتبه لأشـياء لا تلفت انتباه أحد.

أجابـه يـسري بحزم: هذا ما يجب أن يكون عليه ضابـط المباحث الجنائية أيها الملازم، فكلمة واحدة أو تصرف واحد قد يكون مفتاح حل القضية.

أومأ أحمد برأسـه مؤيدًا، ثم قال بحيرة: هناك أمر آخر يا سـيادة النقيب، عندما ذهبنا إلى السـيدة لينا هذه المرة، لم يبدُ عليك الاندهاش عندما رأيت الشـقة خالية من الأثاث، هل كنت تعلم أننا سنجدها على تلك الحال؟

_ ليس بالضبط، لكني توقعت شيئًا كهذا.

قال أحمد بدهشة: كيف؟

_ الأمر بسـيط أيها الملازم، أتذكر سيارة نقل الأثاث التي كانت متوقفة أمام العمارة التي تقطن بها السيدة لينا؟ بحسب كلام الحارسين فالوحيدة التي تقيم في العمارة حاليًا هي السيدة لينا، ثم إن أقرب عمارة تبعد حوالي ٢٠ مترًا، إذن فعربة نقل الأثاث كانت ذاهبة إليها، ويبدو أن السيدة لينا كانت ترتدي ملابسها كاملة لاستقبالهم عندما وصلنا، وإذا قارنت شقتها مع حالة شقة كمال التي تبدو معدة تمامًا لاستقبال عروسين، فيمكنك استنتاج ذلك بسهولة.

أومأ أحمد برأسه، وقال: أنت محق يا سيادة النقيب.

ساد الصمت بينهما لحظات، ثم استطرد أحمد: لكن السيدة لينا ما زالت ضمن قائمة المشتبه بهم، فهي ليست لديها حجة غياب.

قال يسري بحزم: ليست هي فحسب، فالسيد كمال أيضًا صار مشتبهًا به، إذ ربما تعاونا معًا للتخلص من الصحفية، فدبر كمال أمر الحادث، بحيث تتوفر لديه حجة غياب، في حين تقوم السيدة لينا بالتربص بالصحفية في المكان الذي يقود إلى مسكن كمال، لكني مع ذلك لا أرجح هذا الاحتمال، فلا أظن أن كمال سيورط خطيبته في أمر كهذا، لكنه يبقى احتمالًا يجب أن نضعه ضمن الاحتمالات المتعلقة بالجريمة، وهناك احتمال آخر وهو أن تكون السيدة لينا قد علمت من كمال بموعد لقائه مع الصحفية، ودبرت لقتلها دون علم خطيبها، لكني أيضًا لا أميل لهذا الاحتمال، فقد بدت السيدة لينا صادقة تمامًا هذه المرة، إلا إذا كانت ممثلة قديرة.

هز أحمد رأسه متفهمًا، وغمغم: هذه القضية متشابكة جدًا.

ثم بدا أنه تذكر شيئًا ما، فارتفع صوته قائلًا: اه نسيت أن أخبرك يا سيادة النقيب، لقد اتصل الملازم عامر في أثناء وجودنا عند السيدة لينا، وأخبرني أنه أحضر الشاب.

قال يسري بحيرة: أي شاب؟!

أجابه أحمد: إنه محمود سالم، الشاب الذي رافق السيد كمال في رحلة سانت كاترين.

أومأ يسري برأسه، وقال بإرهاق واضح: اه، لقد نسيته تمامًا.

ابتسم أحمد مشفقًا، وقال: ما رأيك أن نستجوب ذلك الشاب غدًا يا سيادة النقيب؟ لقد أنجزنا الكثير اليوم.

هز يسري رأسه رفضًا، واعتدل في مقعده قائلًا: كلا، لن يهدأ لي بال لو أجلت الاستجواب إلى الغد، ذلك الشاب يحمل بجعبته الكثير عن قضية سانت كاترين، والتي قد تكون مفتاح القضية التي نعمل عليها.

صمت لحظة، ثم أردف: يمكنك العودة إلى المنزل لو أردت أيها الملازم.

هز أحمد رأسه، وقال: لا، سأبقى معك يا سيادة النقيب.

_ حسنًا، سأقوم أنا باستجواب الشاب، وأنت تواصل مع رجالنا، واعلم ما إذا كانوا قد وصلوا إلى شيء مفيد.

_ أمرك يا سيادة النقيب.

صمت برهة، ثم استطرد: هل تعتقد أن ذلك الشاب سيعترف بما حدث في سانت كاترين؟

صمت يسري بدوره لحظات، قبل أن يقول: نحن لا نعرف على وجه اليقين ما إذا كان ذلك الشاب هو السبب وراء وفاة رامي أم لا، أو درجة تورطه في الحادث، الشيء الوحيد المؤكد هو أن المدرب كمال لم يذكر اسمه في التحقيقات لسبب ما، وأنا أنوي استخدام ذلك الأمر لدفع ذلك الشاب للإفصاح عما لديه.

سأل أحمد بفضول واهتمام: كيف؟

لم يجب يسري، أو بمعنى آخر لم يسمعه وهو يفكر في العبارة التي قالها الشاب باكيًا بعد وفاة رامي: "لا أدري كيف حدث لرامي هذا... لا أدري».

ودار في رأسه سؤال واحد: هل لذلك الشاب يد في وفاة رامي؟

***

تهللت أسارير النقيب يسري عندما دلف إلى غرفة المكتب، فوجد زميله النقيب فوزي البحراوي جالسًا إلى مكتبه، يتصفح ملفًا ما باهتمام...

هتف يسري بمرح وهو يتقدم نحوه: فوزي، مرحبًا بعودتك يا صديقي.

وقف فوزي، ليصافح يسري وهو يقول بمرح مماثل: يسري، كيف حالك يا رجل؟

_ أنا بخير يا صديقي... كيف كانت إجازة العيد؟

ابتسم فوزي قائلًا بجذل: كانت إجازة رائعة، اصطحبت أسرتي إلى شرم الشيخ، وقضينا وقتًا ممتعًا.

ثم أردف بخبث: ماذا عنك أنت؟ مسكين... سمعت أنك غارق في قضية تلك الصحفية.

ابتسم يسري ابتسامة باهتة، وقال: إنها قضية معقدة بحق.

ثم أردف بجدية: لقد جئت في الوقت المناسب يا فوزي، كنت سأتصل بك... إنه أمر متعلق بقضية الممثلة ريهام حسني التي تحقق بها.

أشار فوزي إلى الملف الموضوع على مكتبه قائلًا: كنت أتصفح ملف القضية الآن... هل اكتشفت شيئًا ما؟

_ قضية الصحفية ألفت التي أحقق فيها، أعتقد أنها ترتبط بشكل ما مع قضية الممثلة ريهام.

ارتسمت الدهشة على وجه فوزي وهو يقول: ما الذي يعنيه هذا بالضبط؟

أجابه يسري وهو يتجه إلى الباب: سأخبرك بما لدي، عندما أتأكد من الأمر، أما الآن...

فتح الباب، والتفت إلى فوزي متابعًا: عليّ أن أستجوب أحد الشهود.

مد فوزي يده وهو يهتف: انتظر يا يسري، أخبرني بما لديك.

لكن يسري أغلق الباب، واتجه إلى غرفة الاستجواب، فتح الباب، فوجد في مواجهته شابًا يجلس على كرسي معدني، ويطرق بسبابته على الطاولة المعدنية المربعة التي وُضع عليها جهاز حاسوب وبعض الأوراق، وعلبة مناديل، وزجاجة مياه صغيرة...

وقف الشاب بمجرد رؤيته يسري الذي أشار إليه بالجلوس وهو يغلق الباب، قائلًا بهدوء: اجلس.

جلس يسري قبالة الشـاب على الجانب الآخر من الطاولة، وتطلع إليه بضع لحظات بصمت وإمعان...

كان شابًا وسيمًا في أوائل العشرينات من عمره، متوسط الطول، يتمتع بجسد رياضي رغـم نحولـه الملحـوظ، تبدو الكآبة جليّة في قسـمات وجهـه، وكأن الحـزن حفر بصماته العميقة فيه...

شعر يسري بالدهشة وهو يتطلع إلى الشاب، وتساءل في قرارة نفسه عن السبب وراء ذلك الحزن العميق الذي يكسو وجهه.

نفض تلك الأفكار عن ذهنه، واعتدل في جلسته قائلًا بهدوء: هلّا تعرفني بنفسك؟

ازدرد الشـاب لعابه، وقال بتوتر: اسـمي محمود سـالم مراد، عمري ٢١ عامًا، طالب بكلية الطب.

أومأ يسري برأسه إيماءة واحدة، وقال: محمود، أتعلم لماذا أنت هنا؟

هز محمود رأسه نفيًا، وقال: كلا.

صمت يسري لحظة، ثم قال: أتعرف المدرب كمال رجب؟

قال محمود باحترام واضح: بالطبع أعرفه، إنه مدربي في رياضة التزلج.

_ جيد، فنحن بحاجة إلى شخص يعرفه حتى يفيدنا في تحقيقنا.

انعقد حاجبا محمود، وهو يقول بقلق: ماذا هناك بالضبط؟ هل أُصيب السيد كمال بمكروه؟

هز يسري رأسه نفيًا، وقال: لا تقلق، إنه بخير.

ثـم تراجع في مقعده دون أن يرفع عينيه عن الشـاب، وصمت لحظات قبل أن يقول: لعلك سمعت بمقتل الصحفية ألفت صابر، أليس كذلك؟

لاحظ يسري انقباض كفي محمود للحظة، وتلك الكراهية التي التمعت في عينيه قبل أن يقول ببرود: بلى.

ـ وردتنا معلومات تقول بأن الصحفية ألفت كانت على وشك تقديم دليل مهم سيُدين السيد كمال في حادثة سانت كاترين، ونحن نتحرى عما كان قد قتلها بسبب ذلك الدليل.

ارتجفت شفتي محمود، وبدا مزيج من الألم والندم في عينيه، قبل أن يتمتم بجملة ما بصوت خافت، فمال يسري نحوه، وقال: لم أسمعك.

رفع محمود صوته قليلًا وهو يقول: الكابتن كمال لم يفعل شيئًا.

أدرك يسري أن خطته تسير على ما يرام، فتابع قائلًا بهدوء شديد: ما أدراك؟ ربما بالفعل اتفق مع زوجة والد رامي ليقتل الطفل، ويجعل الأمر يبدو حادثًا، ومن ثم يتزوجا دون مسؤوليات.

هتف محمود بقوة: لا، أنت مخطئ، السيد كمال لا ذنب له في وفاة رامي... أنا...

بتر عبارته فجأة، فضاقت عينا يسري وهو يقول: أنت ماذا؟

لم يحر محمود جوابًا لمدة دقيقة، بدا خلالها وكأنه في صراع عنيف لاتخاذ قرار، قبل أن يطلق زفرة قوية، حاسمًا تردده، ويقول بمرارة شديدة: أنا السبب في وفاة رامي.

حدجه يسري بنظرة قاسية، دون أن يعقب على كلامه، فهتف محمود: لقد كان حادثًا، لم أعلم بأن ذلك سيحدث، أقسم بالله.

قال يسري بصرامة باردة: ماذا حدث بالضبط في ذلك اليوم؟

غمغم محمود بمرارة: الكابتن كمال كان يحب رامي كثيرًا، ويتعهده برعايته، وما كان ليؤذيه أبدًا، وكل ما قالته تلك الصحفية عنه كان كذبًا.

ازدرد لعابه، ثم استطرد: بعد أن فاز رامي ببطولة عالمية في رياضة التزلج، قرر السيد كمال أن يصحبنا في رحلة إلى سانت كاترين، لكن إدارة النادي رفضت أن تمنحه تصريحًا بالرحلة، وطلبت منه أن يسافر على مسؤوليته الخاصة...

لم يوافق السيد كمال على ذلك في البداية، إلا أن إلحاح أولياء أمور المتدربين جعله يوافق على القيام بالرحلة، خاصة وأنه قد سبق أن اصطحب الأطفال في رحلات مختلفة

دون أن تحدث أية مشاكل، وعرض عليّ أن أكون مشرفًا معه، لأنني عضو في فريق الكشافة، وقمت بالإشراف على بعض الرحلات من قبل، ووافقت على طلب السيد كمال، وقسمنا المتدربين بيننا حتى يسهل علينا الإشراف.

تنهد بعمق، ثم تابع: مرت الأيام الثلاث الأولى على ما يرام، وفي الليلة الرابعة خرجت للتزلج بمفردي، تاركًا فريقي في المخيم الذي نقيم فيه، و...

أغمض عينيه بضع لحظات، ارتسم خلالها الألم على وجهه، كان من الواضح أنه يستعيد تلك الذكرى الأليمة، قبل أن يفتح عينيه اللتين اغرورقتا بالدموع، ويستطرد بأسى شديد: عندما عدت، لم أجد رامي في المخيم، بحثت عنه في المنطقة، لكني لم أجده، أصبت بذعر شديد، وأسرعت أوقظ السيد كمال الذي فزع بدوره، و...

سالت الدموع على وجنتيه، وتحشرج صوته وهو يردف: بحثنا عنه في كل مكان لعدة ساعات دون جدوى، و... وجدناه في النهاية أسفل تَل، كان مصابًا وفقد الوعي وسط الثلوج، كان في النزع الأخير، حاولنا أن نتصل بالإسعاف وبالنجدة، لكن الشبكة كانت خارج التغطية... حاولنا أن نجري له إنعاشًا قلبيًا، لكن من دون جدوى.

انهار تمامًا وهو يقول: أنا السبب، لو لم أخرج في تلك الليلة، لما...

لم يستطع أن يكمل عبارته وهو يبكي بشدة، فهز يسري رأسه بأسف، وبقي صامتًا حتى هدأ محمود، فدفع إليه بزجاجة المياه، فشربها محمود دفعة واحدة، قبل أن يعتدل في جلسته قائلًا بحزم: أنا مستعد لأي عقاب، وسأتحدث إلى وسائل الإعلام، وأبرئ السيد كمال من ذلك الحادث.

صمت يسري بضع ثوانٍ، ثم سأله بلهجة حملت بعض الرفق: لماذا لم يذكر المدرب كمال اسمك في التحقيقات في حادثة سانت كاترين؟

تردد محمود كثيرًا قبل أن يجيب بتلعثم: لقد... لقد أراد أن يبعدني عن أية مشاكل.

اكتست لهجة يسري بالصرامة وهو يقول: لا تكذب.

أطرق محمود برأسه دون أن يجيب، فتابع يسري بصرامة أكبر: الكذب في هذه الحالة لا يعني سوى شيء واحد، وهو أنك قتلت رامي، والمدرب كمال حاول التستر عليك لسبب ما، وربما كان شريكًا لك في الجريمة.

رفع محمود رأسه هاتفًا بذعر: لا، أقسم بالله أنني رويت لك ما حدث بالضبط، لم أكذب في أية كلمة قلتها لك.

هم يسري بقول شيء ما، عندما ارتفعت طرقات قوية على الباب، قبل أن يدخل الملازم أحمد وهو يمسك بيده ورقة من جريدة، ورمق محمود بنظرة غريبة، قبل أن يتحول ببصره إلى يسري قائلًا وهو يشير إلى الورقة التي يمسك بها: سيادة النقيب، هناك أمر مهم لا بد وأن تطلع عليه الآن.

انعقد حاجبا يسري، ووقف قائلًا: حسنًا.

خرج مع أحمد من غرفة الاستجواب، وأغلق الباب ورائه، قبل أن يلتفت إلى أحمد ويقول باهتمام: ماذا هناك؟

قال أحمد بانفعال: أتذكر ذلك الرجل الذي حدثتك عنه بالأمس، ذلك الذي دمرته الصحفية ألفت بمقالاتها، ودفعته إلى الانتحار؟

عقد يسري حاجبيه قائلًا: نعم، ماذا بشأنه؟

دفع أحمد إليه بالورقة، وهو يقول بنفس اللهجة المنفعلة: لن تصدق من هو يا سيادة النقيب.

ازداد انعقاد حاجبي يسري عندما ألقى نظرة على الورقة التي كانت مقالًا قديمًا في صفحة الحوادث، وتعرف على الفور على صورة الرجل موضوع المقال...

لقد كان الرجل المنتحر رجل أعمال يشبه محمود كثيرًا، ويدعى سالم مراد.

***

سالم مراد، رجل أعمال في أواخر الأربعينات، يعمل في مجال استيراد الأجهزة الكهربائية، يتمتع بسمعة طيبة في مجاله، تمكن خلال سنوات معدودة من إثبات نفسه بين المنافسين، وحقق نجاحات كبيرة جعلته يتفوق عليهم جميعًا، لكن مسيرة نجاحاته انهارت فجأة، عندما اتهمته فتاتان تعملان في شركته بالتحرش بهما، وسرعان ما تحول الأمر إلى قضية رأي عام عندما أجرت الصحفية ألفت حوارًا صحفيًا مع الفتاتين، وكتبت عدة مقالات طالبت فيها بتوقيع أقصى عقوبة على الذئب البشري كما وصفته، وانهارت أسهم الشركة وسمعة صاحبها الذي وجد نفسه في مواجهة تحقيقات الشرطة، وأقلام الصحفيين، وألسنة الناس، ولم يستمع أحد إلى الرجل الذي لم يتوقف عن القول بأنه بريء، وفي لحظة يأس، وعندما بات الرجل مهددًا بالسجن وبالعار الأبدي، قرر وضع حدٍّ لحياته، تاركًا وراءه زوجته وابنه الوحيد، ورسالة كتب فيها: أنا بريء.

لم تنتهِ قضية رجل الأعمال سالم مراد عند هذا الحد، فبعد انتحاره، شعرت إحدى الفتاتين _اللتين اتهمتاه بالتحرش بهما_ بالندم، وسلمت نفسها للشرطة، معترفة بأنها اتفقت مع زميلتها على تلفيق تلك التهمة له وابتزازه، من أجل الحصول على مبلغ كبير منه، لكن الأمور خرجت عن السيطرة، وانتهت بانتحار الرجل.

انهار محمود تمامًا عندما واجهه يسري بهذه المعلومات، وقال من بين دموعه: تلك الصحفية الشيطانة هي من دفعت أبي إلى الانتحار بمقالاتها.

تنهد يسري بعمق، دون أن يعقب على كلامه، وتابع محمود: إنها لم تحاول حتى أن تكتب مقالًا واحدًا لتبرأ أبي من ذلك الاتهام البشع، وبدلًا من ذلك حوّلت قلمها المسموم لتنال من السيد كمال.

أطلق زفرة ملتهبة من أعمق أعماق صدره، واستطرد: بعد انتحار أبي، دخلت أمي في غيبوبة لم تفق منها حتى الآن، وأصبت أنا باكتئاب حاد، وفي الوقت الذي تخلى فيه الجميع عني بسبب ذلك الاتهام الظالم الذي طال أبي، كان الوحيد الذي وقف معي في تلك الأزمة هو السيد كمال، ولولاه لكنتُ...

هـز رأسـه، وصمت لحظات قبل أن يتابع بمرارة: بذل السـيد كـمال معي جهدًا كبيرًا لأتخطى تلك الأزمة، حتى إنه كان يذهب معي إلى الطبيب النفسي، واقترح عليّ أن أرافقه كمشرف في رحلة سانت كاترين، و...

تنهـد مـرة أخـرى، ثـم أردف: عندما وقعـت تلك الحادثـة، أصبت بانهيـار عصبي، وساءت حالتي النفسية أكثر مما كانت عليه، لذلك قرر السيد كمال أن يتحمل هو الذنب كاملًا، وشـدد على المتدربين ألا يذكروا اسـمي أبدًا، كان يخشـى عليّ من أن يتكرر معي نفـس الأمـر الذي حدث مع أبي... هذا كل ما حدث، صدقنـي... لكن الآن أنا في حال أفضل، ومستعد لتحمل مسؤولية ما حدث.

سـاد صمت طويل بعد أن أنهى محمود كلامه، وشـعر يـسري بتعاطف هائل مع هذا الشاب الصغير الذي اختبر كل تلك الآلام في سن صغير، لكنه وضع مشاعره جانبًا وهو يقول بهدوء: لن يكون هناك عقاب، لأنك لست مسؤولًا عما حدث، المسؤولية تقع على مدربك وحده.

اتسعت عينا محمود بدهشة، وقال معترضًا: ولكن...

قاطعه يسري وهو يميل نحوه قائلًا: أين كنت ليلة أمس، وتحديدًا عند الساعة السابعة والنصف مساءً؟

صمت محمود لحظات مفكرًا قبل أن يقول: كنت بمنزلي.

_ هل هناك من يشهد على كلامك؟

_ لا، أنا أقيم وحدي.

_ هل قابلت الصحفية ألفت من قبل؟

ازدرد محمـود لعابه بصوت مسـموع، وبـدا عليه التوتر وهو يجيـب: رأيتها ذات مرة عندما حاولت إجراء حوار صحفي مع أبي عندما اتُّهم بتلك التهمة.

انعقد حاجبا يسري وهو يسأله: ألم تقابلها مرة أخرى؟

_ كلا.

شعر يسري أنه يكذب، لكنه قرر إنهاء التحقيق حتى يُجري المزيد من التحريات، وضغط على زر أمامه، وما لبث أن دخل الملازم أحمد، فأشار يسري إلى محمود، قائلًا: حرر محضرًا بأقواله، وأحضره لي لأراجعه وأختمه، ودع الملازم عامر يكمل بقية الإجراءات القانونية.

انعقد حاجبا أحمد وهو يشير إلى محمود بتساؤل، فأوضح يسري: دعه ينصرف بعد تحرير المحضر.

اتجه أحمد إلى الباب يتبعه محمود، عندما هتف يسري فجأة: مهلًا.

التفت إليه الرجلان، فقال يسري مخاطبًا محمود: هل تتناول أية أدوية؟

أومأ محمود برأسه إيجابًا، وقال: نعم، أدوية مضادة للاكتئاب.

بدا الأسى على وجه يسري لحظة، قبل أن تعود ملامحه إلى طبيعتها ويقول: هل لا زلت تتابع مع طبيبك النفسي؟

_ نعم، منذ حادثة أبي وحتى الآن.

دفع يسري بورقة إلى محمود، وقال: اكتب لي عنوان الطبيب النفسي، ورقم هاتفه.

فعل الشاب ما أمر به يسري، وأنهى أحمد تحرير المحضر، وعاد إلى غرفة الاستجواب، ليجد يسري ساندًا مرفقيه على المكتب، وواضعًا رأسه بين كفيه، حتى إنه لم ينتبه إلى دخول أحمد الذي قال بحذر: سيادة النقيب.

رفع يسري رأسه إليه، واعتدل في جلسته قائلًا: اجلس أيها الملازم... هل أنهيت كل شيء؟

جلس أحمد أمامه، وقال: نعم يا سيادة النقيب.

صمت لحظات، قبل أن يقول بغضب: تلك الصحفية... يا إلهي! أي شيطانة كانت!

هـز يسري رأسـه بضيق، وقال: هكذا هـي الكلمة، تدمر بيوتًـا، وتشرد عائلات، بل وقد تقتل أيضًا.

أومأ أحمد برأسه مؤيدًا، وقال: هل لاحظت يا سيدي أن كل من قابلناهم أعربوا عن كراهيتهم الشـديدة لهـا وبدوا أنهم ارتاحوا بموتها؟! إنه لأمر مرعب أن يرحل الإنسـان تلاحقه اللعنات بدلًا من أن يترك ذكرى طيبة في قلوب الناس، فيترحمون عليه!

ابتسم يسري بسخرية، قائلًا: ألم تكن معجبًا بمقالاتها؟!

هز أحمد رأسه نفيًا بقوة، وقال: كلا، أنا أقرأ كامل الجريدة، وهذا لا يعني أنني...

قاطعه يسري ضاحكًا: كنت أمزح معك أيها الملازم.

ثم أردف بجدية: دعك من هذا الآن، وأخبرني، ما رأيك فيما قاله ذلك الشاب؟

تردد أحمد لحظة، ثم قال: إنه يملك دافعًا قويًا للقتل.

أومأ يسري برأسـه، وقال: ليس هذا فحسـب، بل أنا واثق بأنه كذب عندما سألته عما كان قـد قابل الصحفية ألفت مرة أخرى، لكن السـؤال هو: متى قابلها؟ ولأي سـبب؟ ولماذا كذب بشأن ذلك؟

رد أحمـد: إذا كان هناك من سـبب يدفعه لمقابلة تلـك الصحفية فهو الانتقام لما حدث لأسرته حتمًا، وهذا يفسر سبب كذبه، بل لعله اعترف بما حدث في سانت كاترين وطلب العقاب، حتى يصرف أنظارنا عن حقيقة قتله للصحفية.

هز يسري رأسـه نفيًـا، وقال: ربما كان ما ذكرته صحيحًا بشـأن الانتقـام أيها الملازم، لكنه بدا نادمًا بحق بشـأن ما حدث بسـانت كاترين، لذا لا أعتقد أنه طلب العقاب على تلك الحادثة ليخفي حقيقة قتله للصحفية، كما تقول... وعلى أية حال...

دفع إليه بالورقة التي سجل محمود عليها عنوان ورقم هاتف طبيبه النفسي، وأردف: تواصل مع طبيبه النفسي لنتأكد من روايته.

ألقى أحمد نظرة سريعة على الورقة، قبل أن يدسها في جيب بنطاله، ويقول: حاضر يا سيادة النقيب.

أرجع يسري ظهره إلى الوراء بإرهاق، وقال: ألديك جديد؟

أومأ أحمد برأسه إيجابًا، وأخرج دفتر ملاحظاته، وقلب أوراقه، قائلا: لقد فحصنا هاتف الضحية يا سيدي، لكننا لم نجد فيه ما يفيد، والغريب أنها لا تمتلك أية حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي.

اعتدل يسري في مقعده، وقد بدت الدهشة على وجهه وهو يردد مستغربًا: لا تمتلك أية حسابات على مواقع التواصل الاجتماعي!

أومأ أحمد برأسه، وقال: هذا صحيح، هذا ما أكده أيضًا زملاؤها في الجريدة.

مط يسري شفته السفلى مستغربًا، وقال: وكيف يعرفها الناس إذًا؟!

_ لا يعرفها الناس إلا من خلال المقالات التي كانت تكتبها في الجريدة يا سيدي.

بدا عدم الاقتناع على وجه يسري، لكنه تجاوز هذه النقطة، وقال: ماذا هناك أيضًا؟

جرت عينا أحمد على الكلمات المكتوبة في إحدى صفحات دفتر الملاحظات، قبل أن يرفع عينيه إلى يسري، ويقول: لقد حققنا مع بعض العاملين في تلك الجريدة يا سيادة النقيب، لكنهم لم يضيفوا جديدًا عما نعرفه بالفعل، وهم لا يعلمون الكثير عنها، لأنها كانت لا تأتي إلى الجريدة إلا قليلًا... لقد حققنا في حجج غيابهم وقت ارتكاب الجريمة، لكن بعضهم لا يملك حجة غياب، أما بالنسبة للسيد عصمت، فلم يستطع أحد من الصحفيين أن يؤكد حجة غيابه في الوقت الذي ارتُكبت فيه الجريمة، وإن أفادوا بأنهم تعاملوا معه في تلك الليلة بالفعل.

_ هل وجدتم أي شهود بالقرب من موقع الجريمة؟

_ لا، لم يكن هناك أي شهود باستثناء العمال.

_ هل وجدتم أي كاميرات المراقبة حول مسرح الجريمة؟

هز أحمد رأسه، وقال: لم يكن هناك كاميرات للأسف.

_ ماذا عن علاقات الضحية؟

_ من الواضح أنه ليس لديها أي أصدقاء أو علاقات باستثناء علاقاتها الضعيفة مع زملاء العمل، حتى جيرانها لا يعلمون عنها شيئًا، أما أعداؤها، فلا حصر لهم، خاصةً هؤلاء الذين دمرتهم بمقالاتها، وحولتهم إلى قضايا رأي عام... سنبدأ غدًا التحقيق معهم يا سيادة النقيب.

أومأ يسري برأسه دون أن يجيب، فتابع أحمد: هناك شيء آخر يا سيادة النقيب، لقد أفاد زملاء مكتب الصحفية ألفت أنها جاءت وقت الظهر في يوم وفاتها. لقد اقتحمت المكتب، وبدت عصبية جدًا قبل أن تخرج، وهي تردد كلمة واحدة: ذلك الوغد... ذلك الوغد.

انعقد حاجبا يسري، وقال: ما الذي يعنيه ذلك بالضبط؟

هز أحمد رأسه بحيرة، وقال: لا أدري، قد لا يكون له علاقة بالقضية.

مط يسري شفته بعدم اقتناع، وقال: لا بأس، سنتحقق من ذلك في الغد إن شاء الله.

ثم أردف باهتمام: ألم يرد تقرير الطب الشرعي أو المعمل الجنائي بعد؟

_ لا، ليس بعد يا سيادة النقيب.

تنهد يسري بضيق، وصمت لحظات قبل أن يقول: اسمعني أيها الملازم، أريد منك أن تسلم الهاتف إلى الخبراء لفحصه، ومعرفة ما إذا كان هناك أي برامج تتبع أو مراقبة أو تجسس عليه.

ارتفع حاجبا أحمد بدهشة، وقال: هل تشك بشيء ما يا سيادة النقيب؟

_ إنني أتساءل أيها الملازم: إذا كان الكابتن كمال وخطيبته بريئين، فكيف عرف المجرم مكان الضحية في ذلك الوقت؟

تردد أحمد لحظات، ثم قال: ربما كان يقوم بمراقبتها وتتبعها.

أومأ يسري برأسه ببطء، وقال: هذا احتمال، لكنني أريد التأكد.

_ أمرك يا سيادة النقيب.

ألقى يسري نظرة على ساعة يده التي أشارت إلى الثانية عشرة والنصف صباحًا، وقال: لا بأس أيها الملازم، لقد أنجزنا الكثير اليوم بالفعل، فلنتابع غدًا بإذن الله، لعل الغد يحمل لنا شيئًا جديدًا يكشف غموض هذه القضية.

وكان محقًا، فالغد سيحمل معه أشياء جديدة، لكنه لم يعلم بأنه سيحمل له مفاجأة قاسية ستدمر كل شيء.

***

الحـــريق

عـاد يسري إلى منزله بعد يوم طويل ومرهق، أخذ حمامًا باردًا، وارتدى منامته قبل أن يستلقي على فراشه، ورغم أن كل ذرة في كيانه كانت تصرخ طالبة النوم والراحة، إلا أن عقله كان نشطًا، يفكر في كل المعلومات والاحتمالات، ويستعيد كلام الشهود، غارقًا في بحر من الأسئلة والأفكار التي لا تنتهي...

من هو قاتل الصحفية ألفت؟

كل المشـتبه بهـم يملكـون دافعًا قويًا للقتـل، لكن لا دليل حتـى الآن يدين أي واحد منهم...

هـل يمكـن أن يكون المـدرب كمال قد اتفـق مع خطيبتـه لتدبير ذلك الحـادث وقتل الصحفية؟

ربما فعل ذلك لإبعاد الشبهات عن نفسه، لكن ماذا عن خطيبته؟

كـمال يعـرف أن الصحفيـة ألفت قد علمـت بأمر خطبتـه، وهو ذكي بما فيـه الكفاية ليـدرك أن الشرطة سـتتوصل من خلال التحريـات إلى علاقته بلينا، وربما تشـير أصابع الاتهام إلى خطيبته التي لا تملك حجة غياب، فهل سـيعد تلك الخطة دون أن يدبر حجة غياب مناسبة لخطيبته؟

هنـاك أيضًـا ذلك الرجـل الغامض الـذي حاول إيقـاف التحقيـق الصحفي الأخير لألفت...

من ذلك الرجل بالضبط؟ ولماذا حاول إيقاف تحقيق ألفت؟

لقد كان ذلك التحقيق عن حادثة سانت كاترين، وهذا يعني أن ذلك الشخص مرتبط بتلك الحادثة ويهمه إيقاف ذلك التحقيق، وهذا ينطبق بالتأكيد على المدرب كمال، لكن الصحفية ألفت قالت لشقيقها بأنه رجل يريد إيقاف تحقيقها الصحفي الجديد، ولو كان ذلك الرجل هو كمال لعرفته ألفت على الفور...

هذا يعني أنه شخص آخر، لكن من هو ذلك الشخص؟ ولماذا يهمه إيقاف تحقيق ألفت حول حادثة سانت كاترين؟ هل يمكن أن يكون له علاقة بوفاة ألفت الغامضة؟

وهناك طليق الضحية الذي هددها بالقتل، ويحملها مسؤولية وفاة ابنتهما، ويعاني كثيرًا بسبب القضايا الكيدية التي رفعتها ألفت ضده، وهو لا يمتلك حجة غياب، بل وكان في تلك اللحظة التي تُقتل فيها ألفت – بطريقة مشابهة لتلك التي ماتت بها ابنته_، يطلب يد طليقته الأولى بحسب ما قال!

الميراث كذلك ربما كان الدافع وراء قتل الصحفية... لقد صرح فايز بأن شقيقته وعدته بإعطائه جزءًا من الميراث، لكن ربما كان كاذبًا، وقتل شقيقته للاستحواذ على كل الميراث، باعتباره الوارث الوحيد، وقال هذا الكلام لإبعاد الشبهات عن نفسه...

لكن بافتراض أنه صادق، فما حكاية تلك الصور التي أرادت ألفت إعطائها لشقيقها؟

لا شك أنها صور تعني الكثير للصحفية، وإلا لما قررت تغيير موقفها، وإعطاء شقيقها جزءًا من نصيبه من الميراث مقابل احتفاظه بتلك الصور...

محمود سالم أيضًا يمتلك دافعًا قويًا للقتل، فهو يلقي باللوم على الصحفية ألفت في ما حل أسرته، لكن أنّى له أن يعرف مكان القتيلة؟

دارت في رأسه فكرة ما، فهمس لنفسه: قد يكون أحمد محقًا.

أخذ يقلب الفكرة في رأسه عدة مرات، قبل أن يغمغم: لا بد من التحري عن الأمر، و...

لم يكمل عبارته، وإنما انتقل بتفكيره إلى دفتر ملاحظات ألفت المفقود، وعاد يفكر من جديد في الاحتمال الذي وضعه سابقًا، وشعر بالسخط الشديد لأنه لم يحصل حتى الآن

على أية نتيجة من المعمل الجنائي أو الطب الشرعي، والتي ستساعد حتمًا في انقشاع جزء من هذا الضباب الغامض الذي يحيط بالقضية...

أطلـق تنهيدة قوية، وانتقل بتفكيره إلى المعلومـات التي حصل عليها من طليق ألفت بشأن قضية الممثلة ريهام حسني التي لا تزال وفاتها لغزًا غامضًا للشرطة...

لقـد اختصت تلـك الممثلة صحيفة «خـبر عاجل» بالكثير مـن المعلومات عن حياتها وعلاقاتهـا وعملهـا وعلاقتهـا بطليقهـا الممثـل ماجـد وممثلـين آخريـن، ولم تعـطِ هذه المعلومات لجريدة أخرى، فلماذا فعلت ذلك؟

بحسـب شـهادة طبيبها النفسي، فريهام شـخصية أنانية، لا تفعل شيئًا دون مقابل، فما هو المقابل الذي حصلت عليه جراء تلك المعلومات؟

هل هو المال؟

لقد أفلسـت الممثلة ريهام بعد أن فاز زوجها بكل القضايا التي رفعها ضدها، ولم تعد تمتلك سـوى تلك العمارة التي شـهدت وفاتها، إلا أن ذلـك لا يعني أنها كانت في حاجة للمال، فهي ممثلة مشهورة، ولن تعدم الوسائل للحصول عليه، وهذا يعني أن المال لم يكن هدفها.

إذًا، ماذا كان هدفها؟

«الرجوع إلى مجال التمثيل واستعادة شهرتها».

برقت تلك الفكرة فجأة في ذهن يسري، فقال بحماس: نعم، هذا كان الدافع الرئيسي وراء تصرفات الممثلة في أيامها الأخيرة.

فتر حماسـه بغتة وهو يتابع: لكن كيف لصحيفة «خبر عاجل» أن تسـاعدها في تحقيق ذلك الهدف؟

الممثل ماجد جلال _زوجها السـابق_ نفسـه لم يسـتطع أن يعيدها إلى مجال التمثيل، فكيف لجريدة «خبر عاجل» أن تفعل؟!

هل يمكن أن يكون هناك هدف آخر كانت تسعى إليه الممثلة؟

انعقد حاجباه بشـدة، وهـو يفكر في تصرفات ألفت وعصمـت في تلك الفترة، وبعد وفاة الممثلة بحسب ما ذكر الصحفي رفعت كريم، قبل أن يغمغم قائلًا: عصمت يملك إجابات بشأن ذلك حتمًا.

تركز تفكيره على عصمت، وأخذ يفكر في ذلك الاحتمال الذي يتناسب مع المعلومات التي حصل عليها بشـأنه، عندما تغلب النوم على أفكاره أخيرًا، فغطّ في نوم عميق، لكنه ما لبث أن استيقظ بعد ٣ ساعات على رنين هاتفه الذي وضعه بجواره على الطاولة.

التقـط يسري الهاتف، وفتـح إحدى عينيه بصعوبة، ليجد أن المتصل هو الملازم أحمد، فضغط يسري على زر الإجابة، وقال بسـخط عصبي: ماذا هناك؟ هل تعلم كم السـاعة الآن؟

جاءه صوت أحمد مضطربًا بشـدة وهو يقول: أنا آسـف يا سـيادة النقيب، لكن ذلك الخبر لا يحتمل الانتظار.

انعقد حاجبا يسري وهو يكرر بقلق: ماذا هناك؟

_ شقة الصحفية ألفت... إنها تحترق.

***

قـاد يسري سـيارته بسرعة إلى شـقة الصحفية ألفت التي تقع بإحـدى الأحياء الهادئة في مدينـة نـصر، وقد تبخـر النوم تمامًا من عينيه، وسـيطرت على عقله عشرات الأسـئلة والأفكار الجديدة...

لم يكن لديه أدنى شك في أن ذلك الحريق متعمد، لكن من فعل ذلك؟ وكيف؟ ولماذا؟

هل كان في الشقة ما يدين القاتل؟

وإن وُجد، فكيف غفل رجال الشرطة عن ذلك؟

عض شفته السفلى بسخط، لأنه لم يفتش الشقة بنفسه بالأمس، وازداد سخطه عندما وصل أخيرًا إلى الشارع الذي تقع فيه شقة الصحفية ألفت، فوجد النيران تلتهم الشقة التي تقع في الطابق الخامس بشراهة، ورجال المطافئ يحاولون السيطرة عليها، وبنظرة واحدة، أدرك يسري أنه لو كان هناك دليل يدين المجرم، فإن نجاة الدليل من تلك النيران يكاد يكون مستحيلًا...

أوقف يسري سيارته خلف عدد من الناس الذين وقفوا يشاهدون الحريق، وقد علا الفزع والتوتر وجوههم، وأمامهم وقف عدد من رجال الشرطة يشكلون حاجزًا لمنع الناس من التقدم، اخترق يسري الصفوف، حتى وصل إلى الصف الأول عندما أوقفه شرطي قائلًا بصرامة: ممنوع التقدم.

أبرز يسري بطاقته أمام الشرطي الذي اتسعت عيناه لحظة، ثم رفع يده بالتحية العسكرية وتنحى جانبًا، وهو يقول: تفضل يا سيدي.

ما إن تقدم يسري خطوة واحدة، حتى سمع صوتًا يهتف: سيادة النقيب.

التفت يسارًا، فوجد الملازم أحمد والملازم عامر يتقدمان نحوه، فسار باتجاههما، وقال بغضب: ماذا حدث بالضبط؟

أجابه أحمد بتوتر ملحوظ: لا نعلم أي شيء بعد يا سيادة النقيب، لقد تلقينا بلاغًا بالحريق، وهرعنا إلى هنا على الفور.

تنهد يسري بعمق وهو يتطلع إلى النيران، وقال: هل أخليتم العمارة؟ هل الناس بخير؟

رد عامر: نعم يا سيادة النقيب، لقد أخلينا هذه العمارة والعمارات المجاورة أيضًا.

وأشار بيده إلى الناس الذين يقفون على مقربة ويشاهدون الحريق: من حسن الحظ أن الشقة تقع في الطابق الأخير، والشقة المقابلة لها لا يسكنها أحد... لم تقع أي إصابات.

زفر يسري بقوة، وقال بارتياح: الحمد لله.

قـال أحمد وهـو ينظر إلى بوابة العـمارة الحديدية: بالنظر إلى الظـروف التي نحن فيها، فهذا الحريق متعمد بلا شك.

أومأ يسري برأسـه مؤيـدًا، فقال عامر: ولكن لماذا؟ لقد قُتلـت الصحفية ألفت بعيدًا عن منزلها، فإذا كان هناك دليل، فمن المفترض أن يكون في مسرح الجريمة.

أجابه أحمد: نحن لا نعلم بعد الدافع الحقيقي وراء مقتل الصحفية، ربما كانت تمتلك شيئًا ما يشير إلى المجرم في شقتها أو كانت تبتز أحدهم، أو...

« كل ما قالته إنها ستعطيني صورًا مهمة، وطلبت لقائي اليوم".

قفزت هذه الجملة التي قالها فايز شـقيق ألفت إلى عقل يسري فجأة وهو يسـتمع إلى كلام مساعده، وغمغم بانفعال: صور!

التفت إليه أحمد وعامر، وقال الأول: ماذا يا سيادة النقيب؟

لم يسمعه يسري وعقله يعمل بسرعة هائلة، ويربط العديد من النقاط المتعلقة بالقضية ببعضها، ليكوّن نتيجة حاسـمة، يشـير بها إلى أحد المشـتبه بهم، ومـا إن وصل يسري إلى تلك النتيجة حتى أغمض عينيه لحظة، وأطلق تنهيدة قوية، قبل أن يقول بحزم: إنه هو.

تطلع إليه الملازمان بحيرة، وعاد أحمد يسأله: ماذا هناك يا سيادة النقيب؟

التفت إليهما يسري، وقال: أعتقد أنني...

بتر عبارته فجأة عندما تذكر أمرًا ما قد ينسف تمامًا الاستنتاج الذي توصل عليه، فقال بضيق: كنت أعتقد أنني توصلت إلى المجرم، لكنني بحاجة إلى المزيد من التحريات.

هم أحمد بسـؤاله عن هوية الشـخص الذي يعتقد أنه المجرم، لكن يسري تابع بحزم: أتذكر العلامة التجارية لشركة (كانون) التي عُثر عليها بالقرب من موقع سقوط الممثلة؟

أومأ أحمد برأسـه إيجابًا، فاسـتطرد يسري: أريد مقارنة البصـمات التي عُثر عليها على تلك العلامة ببصمات الصحفية ألفت.

ارتفع حاجبا أحمد بدهشة، وقال: ما الذي يعنيه هذا يا سيادة النقيب؟

_ سأخبرك عندما نحصل على نتيجة تحليل البصمات أيها الملازم، أما الآن...

كان رجال المطافئ قد تمكنوا من السيطرة على النيران أخيرًا، فتنهد يسري وأردف: فلنركز على ما نحن فيه.

ما إن هدأت حرارة المكان، حتى انتشر رجال المعمل الجنائي في الشقة يفحصون كل شبر فيها، ورجال الشرطة يستجوبون الشهود، ويراجعون لقطات كاميرات المراقبة في المنطقة، في حين وقف بواب العمارة أمام يسري وأحمد على بعد عدة أمتار من العمارة، وقال في توتر شديد: صدقني، لا أدري كيف حدث هذا.

قال يسري في صرامة: ماذا حدث بالضبط؟

_ لقد استيقظت على صوت صراخ الناس في الساعة الرابعة، وتفاجأت بذلك الحريق... لا أدري كيف حدث والشقة لا يسكنها أحد بعد وفاة السيدة ألفت، ربما كان ماسًا كهربائيًا.

أجابه يسري بحزم: وربما أشعل أحدهم الحريق عمدًا.

اتسعت عينا البواب، وهتف بذعر: ماذا؟! هذا مستحيل.

تجاهل يسري اعتراضه، وقال: أعلم أنك كنت نائمًا وقت اشتعال الحريق، لكن إذا ما افترضنا أن أحدهم قد أشعل الحريق عمدًا، فمن تعتقد أنه الفاعل؟

ردد البواب بعصبية متوترة: لا، من المستحيل أن يكون الحريق متعمدًا... هذا مستحيل.

صمت يسري لحظات تطلع خلالها إلى البواب بنظرات ثاقبة، ثم قال بصرامة: اسمعني جيدًا أيها البواب، أنا أعلم جيدًا أنك تخشى على وظيفتك إذا ما تبين مثلًا أن شخصًا غريبًا دخل إلى العمارة، وأشعل النار في الشقة، لكن نحن الآن أمام حادث هدد كل من يعيش في هذه العمارة، وربما العمارات المجاورة، وذلك بعد مقتل الصحفية ألفت بأقل من يومين... هل لا زلت تعتقد أن ذلك الحريق حدث بالصدفة؟

بدا التردد على وجه البواب، فتابع يسري: إذا كانت لديك أية معلومة يمكن أن تفيدنا في حل هذه القضية، فأخبرنا بها، ولن يعلم أحد بذلك أبدًا.

استمر البواب على تردده لحظات، قبل أن يقول بخفوت: هل تعدني بذلك يا سيدي؟

_ نعم، أعدك.

تنهد البواب بعمق، وصمت لحظة، ثم قال: هناك شيء غريب حدث مؤخرًا، لكني لا أعلم ما إذا كان له علاقة بهذا الحريق أم لا.

_ ماذا حدث؟

_ في الليلة التي سبقت وفاة السيدة ألفت، عادت تلك الأخيرة إلى المنزل في الرابعة فجرًا تقريبًا، وكانت ثملة كعادتها، فساعدتها في الصعود إلى منزلها، وانتهى الأمر عند ذلك الحد، لكن في صباح اليوم التالي، تفاجأت بها تأتي إليّ، والغضب يكسو وجهها، وقالت إن أحدهم اقتحم شقتها الليلة الماضية عندما كانت خارج المنزل... توقعت أنها متوهمة بسبب تأثير الخمر، وحاولت تهدئتها لكنها أصرت على مراجعة لقطات كاميرا المراقبة في مدخل العمارة للّيلة الماضية، فنفذت لها ما أرادت، وبالفعل وجدنا أن رجلًا دخل إلى العمارة في الساعة الثانية صباحًا، بعد أن فتح البوابة بالمفتاح، وبقي هناك قرابة الساعتين، أي قبل وصول السيدة ألفت مباشرة، ثم غادر العمارة، لكننا لا نعلم ماذا فعل بالضبط، لأنه لا توجد كاميرات مراقبة داخل العمارة... وبالرغم من أن الرجل كان يضع كمامة طبية أخفت معظم وجهه، ويرتدي قبعة تخفي ما تبقى منه، لكن يبدو أن السيدة ألفت قد تعرفت عليه، إذ هتفت بغضب: إنه ذلك الوغد.

صمت لحظات ألقى خلالها نظرة على رجال الشرطة الذين يستجوبون الشهود، قبل أن يعود ببصره إلى يسري ويتابع: في البداية تصورت أنه أحد سكان العمارة، لأنه يملك مفتاحًا للبوابة، فبنيته تشبه ثلاثة رجال من المقيمين هنا، لكن السيدة ألفت نفت ذلك، وطلبت مني أن أبقي الأمر سرًا، وأكدت عليّ عدم إبلاغ الشرطة بالأمر أبدًا.

تبادل يسري وأحمد نظرة دهشة، قبل أن يلتفت يسري إلى البواب ويسأله: هل أخبرتك الصحفية عما كان هناك أي شيء قد سُرق من منزلها؟

هز البواب رأسه نفيًا، وقال: كلا، لقد أخبرتني بأنه لم يسرق شيئًا من منزلها، وبدت صادقة في كلامها، لكنها بدت غاضبة جدًا، وأخبرتني بأنها ستذهب لتتأكد من الأمر.

_ تتأكد من ماذا؟

_ لا أدري، هذا كل ما أخبرتني به، بعدها قادت سيارتها، وذهبت إلى مكان ما، ولم أرها بعد ذلك أبدًا.

صمت يسري لحظات، ثم قال بصرامة: عندما جاء رجال الشرطة بالأمس، واستجوبوا الجيران، لماذا لم تخبرهم بكل ذلك؟

ارتبك البواب، وقال: أنا آسف، خفت أن أفقد وظيفتي.

تنهد يسري بضيق، ثم قال: يمكنك الانصراف.

ما إن انصرف البواب حتى قال أحمد بانفعال: ذلك الشخص هو المجرم حتمًا يا سيادة النقيب.

تطلع يسري إلى الفراغ بشرود لحظات، ثم التفت إلى أحمد وقال باهتمام: لماذا أكدت الصحفية على البواب عدم إخبار الشرطة بشأن اقتحام منزلها؟

هز أحمد رأسه بحيرة، وقال: هذا غريب حقًا يا سيادة النقيب، إنه يبدو وكأن...

_ وكأن ماذا؟

صمت أحمد لحظة، وقال: إذا وضعت نفسي مكانها، فالشيء الوحيد الذي قد يمنعني من إخبار الشرطة هو أنني متورط في أمر ما، وأخشى أن تكتشف الشرطة ذلك الأمر لو بدأوا في التحقيق.

لوح يسري بسبابته، وقال: بالضبط.

_ لكن ما هو ذلك الأمر يا سيادة النقيب؟

صمت يسري لحظة، ثم قال: هناك نظرية وضعتها بناءً على المعلومات التي حصلنا عليها حتى الآن، بقي فقط أن نتأكد من كيفية إشعال الحريق، عندها سأتأكد من صحة نظريتي، ويمكننا بعد ذلك أن نبحث عن الدليل الذي يدين المجرم.

قال أحمد بلهفة: أخبرني بهذه النظرية يا سيادة النقيب.

مال يسري على أذنه، وأخبره بما لديه، فاتسعت عينا أحمد بذهول، وهتف: يا إلهي!

اعتدل يسري، وقال مبتسمًا: إنها نظرية منطقية، أليس كذلك؟

هتف أحمد بحماس: بالطبع، أنت عبقري حقًا يا سيادة النقيب.

التفتت عيون الناس إليهما في دهشة، فقال يسري بضيق: اخفض صوتك أيها الملازم.

أومأ أحمد برأسه، وقال: ماذا سنفعل الآن يا سيادة النقيب؟

رد يسري: دعنا نراجع أولًا لقطات كاميرات المراقبة في الوقت الذي أشار إليه البواب، ثم لنصعد إلى الشقة، لعل رجال المعمل الجنائي عثروا على شيء مفيد.

***

كانت شقة ألفت قد تفحمت بشكل شبه تام، وامتلأت بالعديد من رجال المعمل الجنائي الذين انهمكوا في فحص المكان وجمع الأدلة، فحياهم يسري قائلًا: مرحبًا يا رجال، أنا النقيب يسري مصطفى، المحقق المسؤول عن هذه القضية.

أومأوا برؤوسهم في تحية سريعة، فتابع يسري باهتمام: أعلم أن هذا السؤال سابق لأوانه، لكن هل وجد أحدكم أي شيء يمكن أن يفيدنا في تحقيقنا؟

انبرى أحدهم كان يقف عند لوحة التوزيع الكهربائية ليقول: نعم يا سيادة النقيب.

التفت يسري إليه، فتقدم الرجل نحوه وهو يلوح بقطعة معدنية دائرية صغيرة بين سبابته وإبهامه، قائلًا: لقد جئت في وقتك تمامًا.

انعقد حاجبا يسري، وقال: ما هذا؟

_ مـا تراه الآن هو قطعة معدنيـة مصدرها جهاز كهربائي معدل لخلق ماس كهربائي عند تشغيله.

تبـادل الضابطـان نظرة انفعـال، ثم التفتا إلى الخبير الذي تابع: هـذا الجهاز أصغر من حجم الهاتف المحمول، أوصله المجرم بلوحة توزيع الكهرباء، وتحكم به عن بعد، بحيث يرسل إليه إشارة واحدة، تخلق ماسًا كهربائيًا، وتتسبب في ذلك الحريق.

ثـم هز رأسـه بأسـف، وقال: من سـوء الحـظ، كانت الشـقة تحتوي عـلى العديد من زجاجات الخمور التي ساهمت في انتشار النيران، وتفحم الشقة كما ترى.

أومـأ يسري برأسـه متفهمًا، ثم قال: إذًا، كان بإمكان المجـرم افتعال الحريق وهو بعيد تمامًا عن الشقة.

_ هـذا صحيـح، لكن ما قلته لك الآن هـو رأي أوّلي، ما زلنـا بحاجة إلى فحص كل الأدلة قبل أن نسلمكم تقريرنا.

_ لا بأس، لا بأس، ما قلتَه الآن يتوافق بالفعل مع النظرية التي توصلت إليها.

تطلع إليه الخبير لحظة في دهشـة، ثم هز كتفيه بلامبالاة، وقال: على أية حال، سـأعود إلى عملي.

أوقفـه يـسري قائـلًا: مهلًا لحظـة... هل تعـرف قضية أخرى اسـتخدم فيهـا المجرم الطريقة نفسها لإشعال حريق؟

بدا التفكير على وجه الخبير لحظات، قبل أن يقول ببطء: أعتقد أنني سمعت من أحد زملائي أنه حقق في قضية مشابهة.

قالهـا، ثـم التفت إلى رجـل في أوائل الثلاثينات من عمره انهمك في فحص الأسـلاك الكهربائية، وهتف: صالح، تعال.

التفت إليه صالح، وترك ما في يده، قبل أن يتقدم نحوهم قائلًا: ماذا هناك؟

_ لقد حدثتني قبل مدة عن حريق مشابه لذلك الذي نواجهه، فأية قضية تلك؟

أجابه صالح دون تردد: إنها قضية الممثلة ريهام حسني.

تبادل الضابطان نظرة مفعمة بالمعاني، ثم التفت يسري إليهما وشكرهما بحرارة، قبل أن يخرج من الشقة بصحبة مساعده، ويلتفت إليه بابتسامة ظافرة قائلًا: ألم أقل لك؟

هتف أحمد بحماس: إنه المجرم بلا شك.

أومأ يسري برأسه إيجابًا، وقال: نعم، لكننا نحتاج إلى دليل قاطع.

بدا اليأس على وجه أحمد، وقال: لكن كيف سنعثر على ذلك الدليل؟ الشيء الوحيد الذي كان من الممكن أن يفيدنا هو الصور، وإذا كانت في الشقة، فلا شك أنها احترقت.

صمت يسري مفكرًا لحظة، ثم قال ببطء: لا شك أن الصحفية ألفت علمت أن المجرم اقتحم شقتها لأجل الصور، فإذا كانت ستخفيها مؤقتًا في الشقة حتى ترسلها إلى مكان آمن، فأين ستضعها؟

رد أحمد باهتمام: لن تضعها في مكان تقليدي حتمًا.

أومأ يسري برأسه مؤيدًا، وقال: فلنبحث في الشقة، علّنا نجد شيئًا.

عادا إلى الشقة، وأخذا يتحركان بين رجال المعمل الجنائي، وهما يفحصان كل شبر فيها، واتجه يسري إلى المطبخ الذي بدا أقل تضررًا من النيران، عندما لفت انتباهه شيء غريب على الأرض... مربع من السيراميك، يُغطي جزءًا من الأرضية، كان مكسورًا إلى قطع صغيرة...

انعقد حاجبا يسري وهو يتطلع إلى المربع، وقال: ما هذا؟

التفت رجلي المعمل الجنائي اللذين يفحصان المطبخ إلى حيث يشير يسري، وقال أحدهما: اه، هذا؟ يبدو أنه انكسر بسبب الحريق.

لم يقتنع يسري بتفسير الرجل، وسأل بنبرة حادة: لِم لم يحدث هذا مع باقي السيراميك إذًا؟

أجابه الرجل الآخر: ربما يرجع السبب وراء ذلك إلى أن الذي قام بلصق السيراميك، لم يقم بلصق هذا المربع بشكل جيد.

مط يسري شفته السفلى بعدم اقتناع، وقال باستنكار: هذا فقط؟!

ضاقت حدقتاه وهو يتطلع إلى مربع السيراميك، وغمغم محدثًا نفسه: ماذا لو قام أحدهم بإزالة هذا المربع عمدًا، ثم قام بلصقه بإهمال؟

انحنى يسري ليزيل المربع المكسور بحذر، ليكشف عن كيس بلاستيكي صغير مخبأ بين الرمال. سحبه يسري بلهفة، ليجد بداخله شريحة ذاكرة، وقطعة ماسية تعرّف عليها على الفور، فتح الكيس، وأخرج شريحة الذاكرة، وأوصلها بهاتفه ليجد بداخلها مقطع فيديو مدته دقيقة واحدة، شاهده حتى نهايته مذهولًا، قبل أن يطلق تنهيدة قوية ويتمتم: حمدًا لله.

ثم فتح عينيه، وهتف بانفعال: أحمد... أحمد.

تطلع إليه رجلا المعمل الجنائي بدهشة، وما لبث أن جاء أحمد مسرعًا وهو يقول: ماذا هناك يا سيادة النقيب؟

ضغط يسري على زر تشغيل الفيديو، وقال: ألقِ نظرة على هذه.

اتسعت عينا أحمد بصدمة عندما شاهد الفيديو، وهتف بانفعال شديد: يا الله!

هم يسري بقول شيء ما، عندما رن هاتف أحمد، فالتقطه من جيبه، وألقى نظرة على شاشته، قبل أن يضغط زر الإجابة، واستمع إلى محدثه لمدة دقيقة، قبل أن يغلق المكالمة، ويلتفت إلى يسري قائلًا بابتسامة واسعة: لن تصدق من جاء إلينا في القسم يا سيادة النقيب.

سأل يسري باهتمام: من؟

ـ إنه رئيس التحرير عصمت.

أطلق يسري ضحكة قصيرة، وقال: إذًا، فقد أحضره صادق بالفعل... هذا عظيم.

قالهـا، وألقى نظرة أخرى على مقطع الفيديو الذي أظهر عصمت بوضوح وهو يلقي بالممثلة ريهام من سطح عمارتها، لتلقى مصرعها على الفور.

***

حلقة مفقودة

جلس عصمت في غرفة الاستجواب بمركز الشرطة، ينتظر قدوم النقيب يسري بفارغ الصبر، وعقله يعصف بالكثير من الأفكار منذ أن جاء إليه رجال المباحث في الفندق الذي يقيم به في الإسكندرية، وطلبوا منه مرافقته إلى القاهرة، بعد أن أخبروه بأنه مطلوب للإدلاء بشهادته في القضية...

لقد أدلى بشهادته بالفعل، فماذا يريدون منه؟ ولماذا لم ينتظروا حتى يعود إلى القاهرة؟ أيعقل أنهم عثروا على شيء يدينه؟

ارتجف لمجرد الفكرة، وقال محاولًا طمأنة نفسه: لا هذا مستحيل، لقد احترقت شقة ألفت، ولم يعد هناك دليل يدينني.

جالت في رأسه فكرة مخيفة: ماذا لو لم تحترق شقة ألفت؟

ربما حدثت مشكلة في الجهاز الكهربائي المعدل، أو لم تصل الإشارة إلى الجهاز لسبب أو لآخر، وعثر رجال الشرطة على الدليل...

عندما وصل بأفكاره عند هذا الحد، اهتز هاتفه في جيبه فجأة، فانتفض جسده بتوتر، وانتزع الهاتف بحركة عصبية، ليجد رسالة من أحد الصحفيين في الجريدة، نصها: «سيد عصمت، لقد وصلتنا معلومة الآن بأن شقة ألفت اشتعل فيها حريق هائل».

ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة، كادت أن تتحول إلى ضحكة عالية استطاع كتمها بصعوبة، وقال في نفسه: الآن لم يعد هناك ما يهددك يا عصمت.

اختفت ابتسامته فجأة وهو يفكر: ماذا لو فتش رجال الشرطة شقة ألفت قبل أن تحترق وعثروا على شيء ما؟ أو ربما لم تحترق شقة ألفت بالكامل، ووجد المحققون دليلًا يدينه؟

فُتح الباب في تلك اللحظة، ودلف من خلاله النقيب فوزي والنقيب يسري، فهب عصمت من مقعده، وهتف بعصبية: هل لي أن أعرف ماذا يحدث بالضبط؟ أهكذا تعاملون الشهود؟! لقد تعطلت أعمالي بسببكم... سأقاضيكم جميعًا.

تبادل الضابطان نظرة ساخرة، قبل أن يقول يسري في برود وهو يجلس على الكرسي المقابل: لا تقلق على أعمالك يا سيد عصمت، فلن تحتاج إليها بعد الآن.

انعقد حاجبا عصمت، واكتست لهجته بالتوتر وهو يقول: ما الذي يعنيه ذلك؟

سحب فوزي الأصفاد من حزامه، ووضعها حول معصمي عصمت، قائلًا بصرامة: سيد عصمت قاسم، أنت متهم بقتل الممثلة ريهام حسني والصحفية ألفت صابر، وإحراق شقة تلك الأخيرة.

اتخذ فوزي مجلسه بجوار يسري، في حين اتسعت عينا عصمت بذهول وهو يتطلع إلى الأصفاد، قبل أن يرفع عينيه إلى الضابطين صائحًا: هل جننتم؟ ألا تعرفون من أنا؟ أ...

قاطعه يسري قائلًا بصرامة: لا داعي لهذه الضجة الفارغة يا سيد عصمت، لقد عثرنا على الدليل القاطع الذي يثبت أنك المجرم.

شحب وجه عصمت، وغمغم في توتر عصبي: أي دليل هذا؟

أخرج يسري هاتفه، وقام بتشغيل مقطع الفيديو الذي يصور جريمة قتل الممثلة ريهام، فاتسعت عينا عصمت بارتياع، وعجزت ساقاه عن حمله، فهوى على كرسيه بعنف وهو يردد بذهول: مستحيل... مستحيل.

ثم رفع عينيه إلى يسري وقال: أين عثرت على هذا المقطع؟

شرح له يسري كيفية عثورهم على الدليل أسفل مربع السيراميك الذي انكسر بفعل النيران، فقال عصمت بانهيار: مستحيل! أتعني أنه لولا إشعالي للنيران لما كُشف أمري؟!

مط يسري شفته السفلى، وقال بهدوء: ربما، لكنني واثق تمامًا بأنني كنت سأعثر على دليل يدينك، لأنه كان لدي الكثير من الشكوك تجاهك بالفعل.

تطلع إليه عصمت بتساؤل، فتابع يسري: هناك العديد من النقاط التي ربطتها معًا وأوصلتني إليك... النقطة الأولى كانت موافقتك على فتح تحقيق صحفي في قضية قديمة، لقد بدا لي ذلك غريبًا، فصحيفتكم مختصة بقضايا الرأي العام، والأغرب من ذلك أنك لا تعرف طبيعة المعلومة التي دفعت الصحفية ألفت إلى ذلك، لقد بررت الأمر بأن ألفت صحفية جامحة، وأنك تترك لها الحرية في عملها، لكني لم أقتنع بتبريرك، فقد بدا من الواضح أنك تكذب لسبب ما.

النقطة الثانية كانت إفادة من أحد الشهود في أثناء استجوابنا له، إذ أفاد بأن الصحفية ألفت كانت تتعامل معك باستهانة، وكانت تفعل ما تشاء دون أن ترجع إليك، حتى إن الشاهد قال بأنه يعتقد بأن الصحفية كانت تسيطر عليك بشيء ما، لذلك تنفذ لها كل ما تطلبه، وقد لاحظ الشاهد أن معاملة ألفت تغيرت معك عقب وفاة الممثلة ريهام التي اختصت صحيفتكم بالكثير من المعلومات عن حياتها وعلاقاتها وكل ما يرغب الجمهور بمعرفته عن تلك الممثلة وغيرها.

النقطة الثالثة كانت معلومة أدلى بها شقيق الصحفية ألفت، إذ كانت شقيقته في ذلك اليوم مضطربة على غير عادتها، وطلبت منه أن يحتفظ بصور مهمة، مقابل أن تعطيه جزءًا من نصيبه من الميراث.

النقطة الأخيرة تتمثل في الحريق الذي ربط كل النقاط ببعضها، إذ كنت متأكدًا بأن ذلك الحريق كان متعمدًا، لكن لماذا أشعل المجرم النيران في شقة ألفت؟ كانت الإجابة المنطقية أن ألفت ربما تمتلك شيئًا يدينه، وهنا تذكرت الصور التي أرادت ألفت إعطاءها

لشـقيقها، وتذكـرت أيضًا العلامة التجاريـة لشركة (كانون)[1] التي عُثـر عليها بالقرب من موقع سـقوط الممثلة، وقفز في بالي احتمال غريب يتناسـب مع تلك المعلومات، ومع ما أدلى به الشـاهد عن تتبع ألفت لك سرًا في أثناء إجرائك للمقابلات الصحفية، وتغير معاملتها لك بعد مقتل تلك الأخيرة. ذلك الاحتمال هو أنك قتلت الممثلة ريهام لسـبب ما، وكانت الصحفية ألفت شـاهدة على تلك الجريمة، بل وقامت بتصوريها أيضًا، ومن ثم ابتزتك بمقطع الفيديو هذا.

فغر عصمت فاهه ببلاهة، وقال بذهول: مستحيل.

تابـع يسري وكأنه لم يسـمع كلامه: بالطبع جن جنونـك، وقررت التخلص من ذلك الدليـل الـذي يدينـك، فحصلت بطريقـة ما على مفتـاح بوابة العـمارة التـي تعيش فيها الصحفية ألفت وعلى مفتاح شـقتها، وقمت بنسخهما، واستغللت عدم وجودها في تلك الليلة التي سبقت وفاتها، فاقتحمت شقتها بحثًا عن الدليل، لكنك لم تجد شيئًا، فوضعت ذلك الجهاز المعدل كهربائيًا لتحرق الشـقة، كما فعلت في شـقة الممثلة ريهام، وربما كنت ستفعل ذلك عندما تكون الصحفية في المنزل حتى تتخلص منها أيضًا.

اكتشـفت الصحفيـة ألفت أمـر اقتحام شـقتها، وتعرفـت عليك من لقطـات كاميرا المراقبـة، فتيقنت بأنك كنت تبحـث عن الدليل، لكنها لم تنتبه إلى الجهاز المعدل كهربائيًا. ذهبـتْ بعد ذلـك إلى الجريدة، لتجد على ما يبدو أنك قمـت بتفتيش مكتبها أيضًا، لتقرر بعدها أن تتصل بشـقيقها، وتسـلمه على الأرجح صور مقطع الفيديو، لأنها خشـيت أن تفقد المقطع الأصلي بطريقة أو بأخرى، وقررت الاحتفاظ بمقطع الفيديو في شقتها.

صمت لحظات تطلع خلالها إلى عصمت الذي كان يستمع إليه مصدومًا، وقال: هل ما قلته صحيح؟

أومأ عصمت برأسه، وقال بانكسار: كل ما قلته صحيح.

_ لماذا قتلت الممثلة ريهام؟

(١) كانون شركة مختصة في تصنيع أجهزة التصوير

أطلق عصمت زفرة ملتهبة، وقال: عندما كانت ريهام حديث الساعة بعد طلاقها من الممثل ماجد، سعينا نحن أيضًا إلى الحصول على أخبار حصرية منها، فذهبنا أنا وألفت إليها لإجراء مقابلة صحفية معها، لكنها لم تعطنا سوى معلومات بسيطة يعرفها كل الناس، وفي أثناء حديثنا عن الممثلين والمخرجين، أخبرتها بالصدفة أنني أعرف كبير المخرجين فهمي محفوظ، فبدا عليها الاهتمام الشديد، وتغير موقفها منا تمامًا، وبدأت تعطينا معلومات حصرية لا يعرفها الناس.

شرد ببصره في الفراغ لحظات، ثم تابع: عندما هممنا بالمغادرة، أخبرتني بأن لديها المزيد من المعلومات الحصرية ستمنحنا إياها، إذا ما أقنعتُ المخرج فهمي بإعادتها إلى التمثيل، فوعدتها بذلك، لكنني فشلت في تنفيذ وعدي، لأن فهمي رفض تمامًا مجرد مناقشة الفكرة، ولمّا لاحظت أن صحيفتنا قد ارتفعت مبيعاتها ومشاهداتها على المواقع المختلفة، وبدأت الشركات والمؤسسات تعرض علينا إعلانات بمبالغ كبيرة، فقد خفت أن نخسر كل ذلك، فخدعت ريهام، وأخبرتها أن فهمي وافق على إعادتها للتمثيل، لكنه مشغول في الوقت الحالي، وسيتواصل معها في أقرب وقت، ففرحت كثيرًا، وزودتنا في كل مرة بالمزيد من المعلومات التي جعلت صحيفتنا الأولى في مصر، وفي أحد الأيام ذهبت إليها بمفردي، لأن ألفت كانت مريضة، فاستقبلتني بثورة عارمة، وأخبرتني أنها تأكدت من بعض الممثلين أن فهمي لن يعيدها أبدًا إلى التمثيل، وأنني خدعتها، حاولت تهدئتها، وأخبرتها بما حدث مع فهمي، ووعدتها بالمحاولة من جديد إذا ما وافقتْ على قضاء ليلة معها.

تبادل النقيبان نظرة دهشة، قبل أن يلتفت يسري إليه، ويقول بحذر: هل وافقت؟

_ وافقت دون أي تردد، وحاولتُ بعدها الحديث من جديد مع فهمي، لكنه رفض، وبدأت أذهب لإجراء المقابلات مع ريهام بمفردي، إذ خشيت أن تكتشف ألفت أي شيء عن علاقتنا، وفي كل مرة كانت ريهام تسألني عما فعلت، فأحاول مماطلتها، ثم فوجئت بها ذات يوم تخيرني بين إقناع فهمي بإعادتها إلى التمثيل أو... فضحي.

قال الكلمة الأخيرة بخفوت، فردد يسري بحذر أكبر: فضحك؟

هز رأسه بضيق، وقال: نعم، لقد أظهرت لي مقطع فيديو يصور تلك الليلة المشينة، صدمت صدمة هائلة، واندلعت مشاجرة عنيفة بيننا، انتهت بطردي من شقتها، جن جنوني ولم أعرف ماذا أفعل، وفي الليلة ذاتها أرسلت إليّ تطلب مني شراء عقد ماسي بملايين الجنيهات في مقابل أن تعطيني مقطع الفيديو، وإلا أرسلته إلى زوجتي وإلى وسائل الإعلام، حاولت إقناعها أن الفضيحة لن تكون من نصيبي وحدي، لكنها لم تبالِ... بالنسبة لي كان نشر ذلك المقطع يعني نهاية حياتي المهنية والعائلية تمامًا، فلم أتردد واشتريت لها ما أرادته، لكني فوجئت بها ترفض إعطائي مقطع الفيديو، طالبة مني أن أحاول إقناع فهمي بإعادتها إلى التمثيل مرة أخرى، عندها أدركت أنها ستظل تبتزني إلى الأبد، فقررت قتلها، وبعد أن وضعت خطتي، ورتبت كل شيء، ذهبت إليها، وقلت لها بأنني نجحت في إقناع فهمي بإعادتها إلى التمثيل، وبدوت أمامها كأنني أتصل به، قبل أن أطلب منها أن نصعد إلى السطح لأن الشبكة خارج التغطية، وعندما وصلنا إلى السطح حاولت إقناعها بإعطائي الطاقم الماسي في مقابل أن أجعلها تكلم فهمي؛ لأني لم أكن لأغامر بأخذه بعد أن تلقى حتفها، لكنها رفضت، وقالت لي بأنها لن تعطيني إياه إلا بعد أن تتأكد من أنني لا أكذب عليها هذه المرة، فما كان مني إلا أن دفعتها من حافة السطح، ونزلت بعدها إلى الشقة، فأخذت هاتفها المحمول الذي كانت تتواصل به معي ولا يعرف عنه أحد شيئًا، وأشعلت النار في الشقة لإزالة أي دليل يشير إليّ... هذا كل ما حدث.

ساد الصمت لنصف دقيقة، قبل أن يقول يسري بصرامة: ماذا حدث بينك وبين الصحفية ألفت بعد ذلك؟

تنهد عصمت، وقال: في اليوم التالي، عندما ذهبتُ إلى الجريدة، فوجئت بألفت تدخل إلى مكتبي، وقد علت وجهها نظرة خبيثة، وسألتني قائلة: "ماذا فعلت مع ريهام بالأمس؟ هل حصلت منها على معلومات جديدة" كانت لهجتها مع نظراتها تحمل اتهامًا واضحًا، وقبل أن أتكلم أطلقت ضحكة عالية، وقالت لي ببرود: «لقد رأيتك بنفسي»، بذلت

مجهودًا خرافيًا لأخفي فزعي واضطرابي، وأنا أسـألها عما تعنيه، لكنها اكتفت بالقول إنها لن تخبر الشرطة، ثم غادرت المكتب.

بتّ واثقًا بأن ألفت تعرف شيئًا ما عن جريمتي، لكني لم أعلم بالضبط مدى ما تعرفه عنها، فكرت في قتلها، لكني خفت أن تكون قد تركت دليلًا يدينني، حاولت استدراجها بحذر لتفصح عما لديها، لكني فشلت في ذلك.

أطلـق زفـرة قوية، ثم أردف: طوال الشـهرين الماضيين، عشـت في رعـب هائل وأنا أتخيـل في كل يوم رجـال الشرطة وهم يدخلـون إلى مكتبي ويلقون القبـض عليّ، وتغير تعامل ألفت معي، فتجاهلت وجودي تمامًا، وصارت تفعل ما تشـاء دون أن أجرؤ على الاعـتراض، خوفًا من أن تبلغ الشرطة عني، وأخذت تتمادى في اسـتهانتها بي، حتى إنها طلبـت مني نقـل طليقها رفعت إلى الإسـكندرية، وتصدر الأوامر للصحفيين باسـمي، حتى سادت شائعة مؤخرًا بين الصحفيين بأنها أصبحت شريكة في الجريدة، ولمّا سمعت هي بذلك قالت لي بلهجتها الخبيثة: "إنها ليست فكرة سيئة".

صمت عصمت لحظات، ليلتقط أنفاسه، قبل أن يتابع: قبل نحو أسبوعين، جاءت إلى مكتبي لتطلب مني إعادة التحقيق في قضية سـانت كاترين، ولما رفضت طلبها، فوجئت بهـا تخرج الدليل القاطـع على جريمتي، وهي صـور التقطتها بكاميرتهـا للحظة ارتكابي للجريمة... أخبرتني بأنها كانت تتبعني طوال تلك الفترة، لأنها شـكت في وجود علاقة ما بيني وبين ريهام، وكانت تنوي اسـتغلال ذلك بطريقة ما، عندما وجدت نفسـها توثق جريمتي.

أخـذت قـرارًا في تلـك اللحظة بـأن أقتلها، ولكن بعـد أن أحصل عـلى الدليل الذي يدينـني، فقـد كنت واثقًا أن ألفت تحتفظ بأصل الصور في منزلها، وفعلتُ كما اسـتنتجت أنت تمامًا يا سيدي.

بعـد أن أنهـى عصمـت روايته، خيم الصمت عـلى الغرفة حتى كـسره النقيب فوزي قائلًا بصرامة: كيف قتلت الصحفية ألفت؟

اتسعت عينا عصمت، وهتف بذعر: ماذا؟! أنا لم أقتل ألفت؟

ارتسمت على طرف شفتي فوزي ابتسامة ساخرة، تلاشت بسرعة قبل أن يقول: ألا زلت مصرًا على الإنكار مع كل هذه الأدلة؟

_ أقسم لك أنني لم أقتلها، لقد سبقني أحدهم إلى الهدف نفسه... لقد كنت في الجريدة وقت وقوع الجريمة.

قال يسري بصرامة باردة: هذا ليس دليلًا كما أخبرتك من قبل، ثم إن الصحفيين في جريدتك لم يمكنهم تأكيد حجة غيابك بشكل قاطع.

هتف عصمت بعصبية: هذا لا يثبت أنني قتلتها... كيف لي أن أعلم أين كانت ألفت في ذلك الوقت؟

كان سؤال عصمت منطقيًا، فلم يحر يسري جوابًا...

إذا كان عصمت هو القاتل حقًا، فكيف عرف مكان الصحفية في ذلك الوقت؟

دارت الكثير من الاحتمالات في ذهنه، لكنها بدت جميعًا غير منطقية، ووجد نفسه يفكر في احتمال جديد، هل يمكن أن يكون القاتل شخص آخر غير عصمت؟

***

جلس أحمد في غرفة استراحة الضباط يحتسي فنجانًا من القهوة وهو يشاهد التلفاز، عندما وجد يسري يدخل إلى الغرفة، فضغط على أحد أزرار جهاز التحكم ليغلق التلفاز، ووقف من فوره رافعًا يده بالتحية العسكرية، وتطلع إلى وجه يسري الذي بدا عليه الضيق، فقال بحذر: ماذا هناك يا سيادة النقيب؟

جلس يسري على الكرسي المقابل له، وأطلق تنهيدة قوية قبل أن يقول: لقد اعترف بقتل الممثلة ريهام، وحرق شقة الصحفية ألفت، لكنه أنكر تمامًا قتله لتلك الأخيرة.

جلس أحمد وهو يهتف بدهشة: ماذا؟!

ـ إنه يطرح سؤالًا منطقيًا سبق وأن طرحته عليك أيها الملازم وهو: كيف تمكن المجرم من معرفة مكان الضحية في ذلك الوقت؟

هـم أحمد بقول شيء ما، عندما رفع يسري كفه ليشـير إليـه بالصمت، وتابع: أعلم ما يـدور في بالـك أيها الملازم، أنت تفـترض ـ إذا ثبت أن جهاز الضحيـة لا يحتوي على أية برامج تتبع ومراقبة ـ أن عصمت قام بمراقبة الضحية، لكن لا تنس أن بعض الصحفيين قـد تعاملـوا بالفعل معه في الليلـة التي قُتلت فيها، وهو ما ينفي أنـه كان يقوم بمراقبتها، وينفي بالتبعية أنه كان يعلم مكانها.

تنهد أحمد بضيق، وصمت لحظات قبل أن يقول بتردد: ربما علم بوسيلة أخرى، كأن تكون الضحية قد أخبرته مثلًا...

هز يسري رأسـه نفيًا، وقال: لقد جال هذا الاحتمال وغيره في ذهني أيها الملازم، لكن الصحفيـة ألفت ليسـت من الغبـاء لتخبره بتحركاتهـا، خاصةً بعد أن أقـدم على تفتيش شقتها، وهي تعلم جيدًا بأنه قاتل، وربما يقتلها أيضًا.

قال أحمد بإصرار: ربما أبلغت أحد زملائها، وقام بإبلاغ رئيس التحرير.

ابتسـم يسري ابتسـامة باهتة، وقال: يبدو أنك نسـيت أنها لم تتفق مع السيد كمال على تلك المقابلة الصحفية إلا يوم مقتلها، وأعتقد أنها اكتشفت بعد ذلك أمر اقتحام شقتها، وعندمـا ذهبـت إلى الجريـدة، كانت مشـغولة بذلـك الأمر، لـذا لم تتح لهـا الفرصة على الأرجح لإخبار أحد زملائها، ومع ذلك، سـنعيد اسـتجواب الصحفيين، لعلها أبلغت أحدهم بالفعل.

قال أحمد بعصبية: لكنه أحرق شقة الضحية.

ـ هذا صحيح، لكن ذلك لا يثبت بشكل قاطع أنه قتلها.

أطلق أحمد زفرة ضيق، وصمت لحظات شاردًا، قبل أن يهتف بحماس مفاجئ: سيادة النقيـب، أتذكـر الرجل الذي حاول إيقاف تحقيق الصحفيـة يوم مقتلها؟ ربما كان لذلك

الرجل علاقة بالجريمة.

أومأ يسري برأسه مؤيدًا، وقال: أنت محق أيها الملازم... ألم يرد أي شيء عنه؟

_ لا، ليس بعد يا سيادة النقيب.

تنهد يسري تنهيدة عميقة، وألقى نظرة على ساعته التي أشارت إلى العاشرة إلا الثلث صباحًا، وقال: حسنًا أيها الملازم، دعنا نتناول إفطارنا أولًا، ولنحصل على قسط من الراحة، فنحن لم ننم جيدًا الليلة الماضية.

صمت لحظة، ثم استطرد: سنبدأ من جديد أيها الملازم، سنقوم بتوسيع تحقيقاتنا، وسنصل إلى المجرم بإذن الله.

***

بالأبيض والأسود

«أهذه هي الصحفية ألفت؟!»

تـردد هذا السـؤال في ذهن يـسري، كأصداء بعيدة تـتردد في أرجـاء ذاكرته، بصوت عميق مألوف، مُشـبعًا بمزيج من الدهشـة والاسـتنكار... من قائل هذه العبارة؟ ومتى سمعها بالضبط؟ ولماذا اتسمت لهجة ذلك الشخص بمثل هذا المزيج الغريب؟

شـعر في تلـك اللحظة بيد تهـز كتفه برفق، وارتفـع صوت الملازم أحمد قائلًا: سـيادة النقيب... سيادة النقيب.

فتـح يسري عينيه، ليطالعه وجه أحمد الذي قال بعجالة: إنها السـاعة الثالثة يا سـيادة النقيب.

رمـش يـسري عدة مـرات، مُحاولًا التخلـص من ضبـاب النعاس الذي يلـفّ ذهنه، وجال ببصره في أرجاء غرفة اسـتراحة الضباط، قبل أن يقول بابتسامة باهتة: لقد نسيت أنني نمت هنا.

نهـض مـن على الأريكة، مُمدّدًا ذراعيـه كمن يُحاول طرد آخر آثار النعاس من جسـده المُتيبّس، قبل أن يلتفت إلى أحمد الذي ارتسـمت على وجهه تعابير متباينة، وقال باهتمام: يبدو لي من ملامح وجهك أن لديك الكثير تود أن تخبرني به.

أومـأ أحمـد برأسـه إيجابًا، وقـال بحماس: بالفعـل يا سـيادة النقيب... لقـد وصلتني معلومات مهمة بشأن القضية.

_ حسنًا، سأذهب لأصلي الظهر، ثم نعود للحديث.

مـا هي إلا ربع سـاعة حتى عـاد يسري إلى الغرفـة، ليجد أحمد قد جهـز فنجانين من القهـوة، فارتسـمت على وجهه ابتسـامةٌ عريضةٌ، وقال: رائع أيها المـلازم، هذا ما أحتاج إليه بالفعل.

جلس على المقعد المُقابل لأحمد، وأخذ رشفةً من قهوته، وهو يشعر بالانتعاش يَسري في جسده، وقال: أخبرني بما لديك؟

ترك أحمد فنجانه جانبًا، وأخرج دفتر ملاحظاته وهو يقول: لقد تواصلت مع الطبيب الشرعي يا سيادة النقيب، إنه لم ينتهِ من تشريح الجثة بعد، لكنه أبلغني ببعض المعلومات المهمة، لقد أفاد بأن الوفاة حدثت بسبب اصطدام رأس الضحية بصخرة، وقد عثر تحت أظافـر اليـد اليـسرى للضحية على ألياف جلديـة، تطابق خصائص نوع شـهير من دفاتر الملاحظات.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة، وقال: كنتَ محقًا يا سيادة النقيب.

أومأ يسري برأسه، وقال: هذا يعني أن الجاني قد أخذ دفتر الملاحظات بالفعل.

_ نعم.

ارتشف يسري رشفة أخرى من قهوته، وقال هل هناك شيء آخر؟

_ أجل، لقد أظهر فحص الدم وجود نسبة كحول في دم الضحية بلغت ١٠ , ٠٪، أما بالنسـبة للإصابات على الجثة، فقد كانت كلها بسـبب السقوط، باستثناء بعض الخدوش على معصم يدها اليسرى، والتي تشير إلى وقوع شجار بين الضحية وشخص آخر.

هز يسري رأسـه ببطء، وسـاد الصمت لحظـات، قبل أن يردف أحمـد: لقد تواصلت أيضًا مع المعمل الجنائي يا سيادة النقيب، ما زالوا يواصلون فحص الأدلة، لكنهم عثروا على شيء غريب في أثناء فحص ملابس الضحية.

بدا الاهتمام على وجه يسري وفي صوته وهو يسأل: ما هو؟

_ لقد عثروا على بصمات أصابع الضحية في أنحاء متفرقة من فستانها، لكنهم لم يعثروا على أية بصمات أخرى غريبة إلا على طرف كُم الفستان، وهي بصمات ترجع لشخص واحد، لكنها لا تتطابق مع أيٍ من بصمات المشتبه بهم الحاليين.

هتف يسري بدهشة: ماذا؟

عقد أحمد حاجبيه، وقال بحيرة: ما الذي يعنيه هذا يا سيادة النقيب؟ إذا كان الجاني قد دفع الضحية لتلقى مصرعها، ألم يكن من المفترض أن نعثر على بصمات أصابعه على الجزء العلوي من جسدها؟ هل كان الجاني يرتدي قفازات؟

شبك يسري أصابع يديه، وأسند ذقنه عليهما، وشرد في الفراغ لحظات، قبل أن يحرر يديه ويعتدل في جلسته قائلًا: إذا كانت البصمات على كُم الفستان تخص الجاني، فهذا يعني أنه لم يكن يرتدي قفازات، ويعني أيضًا أنه ربما لم يدفع الضحية إلى حتفها.

اتسعت عينا أحمد في دهشة، وهو يهتف: ماذا؟! هل تعني أن...؟

قاطعه يسري قائلًا: لقد فكرت في ذلك الاحتمال عندما أخبرني السيد رفعت أن الضحية من المستحيل أن تجري مقابلة صحفية دون أن يكون معها دفتر ملاحظات، ولمّا لم نعثر على ذلك الدفتر، فقد كان من الواضح أن الجاني قد أخذه لسبب ما، ومن خلال الألياف الجلدية التي عُثر عليها أسفل أظافر الضحية، بالإضافة إلى الخدوش على ذراع الضحية، يمكننا استنتاج أن الجاني قد تشاجر مع الضحية ليأخذ منها الدفتر، لكن هل دفعها لتلقى مصرعها في قاعدة البناية؟

إذا كان الأمر كذلك، فكيف لم نعثر على بصمات أصابعه على الجزء العلوي من جسدها كما قلت؟ هذا لا يعني بالفعل سوى أحد احتمالين: إما أن الجاني كان يرتدي قفازات، أو أن الضحية قد زلت قدمها وسقطت في أثناء شجارها مع الجاني، وتحديدًا عندما تمكن من انتزاع الدفتر من يدها.

تمتم أحمد بذهول: يا إلهي!

ساد الصمت بينهما لمدة دقيقة، قبل أن يقطعه يسري قائلًا: ألم ترد إليك معلومات أخرى بشأن المشتبه بهم؟

أومأ أحمد برأسه قائلًا: بلى يا سيادة النقيب، لقد تحقق رجالنا من حجة غياب السيد فايز صابر، لقد كان في ملهى ليلي في الوقت الذي قُتلت فيه شقيقته.

ارتفع حاجبا يسري في دهشة، وهو يردد: ملهى ليلي؟!

_ نعم، لقد تأكدنا من ذلك من خلال تتبع سيارته، والكاميرات المُحيطة بالملهى، إنه يتردد على ذلك الملهى بشكلٍ منتظمٍ كل أسبوع، ويبدو أن أسرته لا تعلم شيئًا عن ذلك.

ابتسم يسري بتهكم، وقال: لهذا السبب طلب مقابلتي في مكتبه، لقد خشي من أن تكتشف عائلته ذلك الأمر بشكل أو بآخر.

صمت لحظة قبل أن يضيف: وربما كان ذلك هو سبب حرمان والده له من الميراث.

أومأ أحمد برأسه مؤيدًا، وقال: يبدو ذلك يا سيادة النقيب.

ألقى أحمد نظرة سريعة على دفتر ملاحظاته، قبل أن ينتقل ببصره إلى يسري ويقول: هناك شيء آخر يا سيادة النقيب، لقد فحص الخبراء هاتف الضحية، ولم يجدوا أي شيء مريب بشأنه.

تنهد يسري، وقال: توقعت هذا.

همّ أحمد بقول شيء ما، عندما ارتفعت طرقات سريعة على باب الغرفة، فالتفت الضابطان إلى الباب، وقال يسري بحزم: ادخل.

دخل الملازم عامر إلى الغرفة، وحيّا الضابطين، قبل أن يلتفت إلى يسري قائلًا باهتمام: سيدي، لقد وردتنا معلومة الآن بأن السيد كمال والسيدة لينا قد عقدا قرانهما في المستشفى الذي تُعالج فيه والدة السيد كمال.

ارتفع حاجبا يسري، وقال متعجبًا: في المستشفى؟!

_ نعـم، يبدو أن حالة السـيدة رنا قد سـاءت، وأرادت أن تفـرح بابنها قبل أن تفارق الحياة.

هز يسري رأسـه بتعاطف، وهمّ بقول شيء ما، عندما ارتفع رنين هاتف أحمد في تلك اللحظة، فالتقطه من جيبه، وألقى نظرة على شاشـته، قبل أن يضغط زر الإجابة، ويضع هاتفـه على أذنه ليسـتمع إلى محدثه بضع لحظات، قبل أن يهب واقفًا وهو يهتف بدهشـة: ماذا؟! ماذا تقول؟!

تطلـع إليـه يـسري وعامـر باهتمام وهـو يسـتمع إلى محدثه بضع ثـوانٍ، قبـل أن ينهي المكالمة، والتفت إلى يسري قائلًا بانفعال: لن تصدق من الرجل الذي حاول إيقاف تحقيق الصحفية ألفت يا سيادة النقيب.

قطب يسري حاجبيه وهو يقول بحذر: أهو محمود سالم؟

ارتفع حاجبا أحمد، وهتف بدهشة: كيف عرفت هذا يا سيادة النقيب؟

هـز يسري كتفيه ببسـاطة، وقـال: إنه مجرد تخمين أيهـا الملازم، لقد سـألت نفسي من لـه المصلحـة في إيقاف تحقيـق الصحفية، وكانت الإجابة أنه شـخص مرتبـط حتمًا بتلك الحادثـة، غير السـيد كمال والسـيدة لينا، ولم أجـد أمامي في الوقت الحالي سـوى محمود، خاصةً وأنني كنت واثقًا أنه كذب عندما سألته عما كان قد قابل الصحفية مرة أخرى بعد حادثة والده، كما أنه يكنّ لها كراهية شـديدة، كونها السبب فيما حدث لعائلته... تذكرت أيضًا كلامك بأنه ربما اعترف بما حدث في سـانت كاترين وطلب العقاب، حتى يصرف أنظارنـا عـن حقيقـة قتله للصحفيـة، هـذا إذا كان هو القاتـل حقًا. هكـذا فكرت بأنك قـد تكـون محقًا، وأن محمـود هو من قابل الصحفيـة يوم مقتلها، وحـاول إيقاف تحقيقها الصحفي، على الأرجح حتى لا تدمر حياة مدربه الذي يدين له بالكثير.

ابتسـم أحمد وعامر بإعجاب، وقال الأول: رائع يا سـيادة النقيـب... إنه هو بالفعل، لقـد تعرف عليه رجالنا من خلال لقطات كاميرا المراقبة في المرآب الخاص بجريدة «خبر عاجل»، حيث قابل محمود الصحفية ألفت هناك ظهيرة يوم مقتلها.

هـز يسري رأسـه بشرود، في حـين قال عامر بحـذر مخاطبًا يسري: هـل تعتقد أنه هو المجرم يا سيدي؟

أطلـق يـسري زفرة قصيرة قبل أن يلتفت إلى أحمد قائـلا: ألم تُظهر كاميرات المراقبة ما إذا كان محمود قد قام بتتبع الصحفية بعد مغادرتها؟

رد أحمد: لا، لم يخبرني رجالنا بشيء من ذلك، لكنني سأتأكد منهم.

_ حسـنًا، واطلـب منهـم معرفة تحركاته من خـلال كاميرات المراقبـة في تلك المنطقة والمناطق القريبة.

_ أمرك يا سيادة النقيب.

_ سأترك لكما أمر التحقيق مع محمود، أما أنا فسأراجع ملف القضية من جديد، لعلي أتوصل إلى...

بتر عبارته فجأة عندما ترددت في ذهنه العبارة ذاتها التي راودته بين اليقظة والمنام قبل أقل من ساعة...

"أهذه هي الصحفية ألفت؟!".

تـرددت العبـارة بنفـس اللهجة التـي جمعت بين الدهشـة والاسـتنكار، لكنها حملت صوت الملازم أحمد بوضوح هذه المرة، وتذكر معها متى سمعها بالضبط...

قطع أحمد حبل أفكاره بقوله في حيرة: ماذا يا سيادة النقيب؟

رفـع يسري عينيه إليه، وقال بانفعـال: أحمد، عندما رأينا جثة الصحفية ألفت، هتفت أنت مستغربًا: "أهذه هي الصحفية ألفت؟!"... ما الذي أثار دهشتك آنذاك؟

أصـاب الارتبـاك أحمد عندمـا واجهه السـؤال المفاجئ، وصمت لحظـات باحثًا عن كلـمات مناسـبة للإجابـة، قبل أن ينطـق بتردد: حسـنًا، لقد بدت مختلفة عـن صورتها في الجريدة.

حكّ ذقنه بحيرة، وتابع: ربما بسبب صورتها بالأبيض والأسود.

_ ماذا تعني؟

_ عند نشر مقالاتها في الجريدة، كانت تُرافقها صورة الصحفية ألفت بالأبيض والأسود، لم تُنشر لها أية صورة ملونة من قبل، هذا ما...

بتر عبارته فجأة، وانعقد حاجباه بقوة وقد تذكر شيئًا ما، قبل أن يهتف بحماس: اه تذكرت، إنه شعرها.

بدا التساؤل على وجه يسري، وهو يغمغم بحيرة: شعرها؟!

_ نعم، شعرها الناري ذاك والذي لم يظهر لونه في صورتها بالأبيض والأسود هو ما أثار دهشتي، عندما رأيت جثتها.

أومأ يسري برأسه متفهمًا، وقال: هكذا إذًا... لقد فهمت.

ثم أشار إليهما بالانصراف، وقال: حسنًا... رافقتكما السلامة.

أدى يسري صلاة العصر، ثم عاد إلى غرفة مكتبه، فأعد لنفسه فنجانًا من القهوة، وجلس يحتسيه ببطء وهو يقرأ كل حرف في ملف القضية بعناية فائقة، كأنّه يبحث عن خيط يقوده إلى الحقيقة.

بعد ساعة، أتم يسري قراءة الملف، ففرك عينيه المُتعبتين، وشعر بوخز الجوع في معدته، فأخرج هاتفه من جيبه، واتصل بأحد المطاعم القريبة، وطلب بيتزا كبيرة الحجم، وبينما ينتظر وصول الطعام، فتح دفتر ملاحظاته ليقرأ ما دوّنه من كلام الشهود، عندما استوقفته فجأة عبارة ما، فانعقد حاجباه، وتمتم محدثًا نفسه: ماذا؟ أنا واثق من...

قلب دفتر ملاحظاته بسرعة، حتى توقف عند إحدى الصفحات، فجرت عيناه على كلماتها بسرعة، وازداد انعقاد حاجبيه عندما وصل إلى جملة بعينها، وغمغم بحيرة: إذا كان الأمر كذلك، فكيف...؟

انتـزع هاتفه بسرعـة، واتصل بالصحفي رفعت كريم، واسـتمع إلى الرنين بنفاد صبر حتى جاءه صوت رفعت، وبعد أن تبادل معه التحية، قال: سيد رفعت، قلت لي من قبل إن طليقتك قد صارت تظهر بإطلالات غريبة وشاذة، بعد وفاة ابنتكما رحمها الله... أريد منك التأكد من هذه المعلومة، هل سـبق وأن صبغت طليقتك شـعرها باللون الأحمر من قبل؟

أجابه رفعت على الفور: لا، مطلقًا... كان شعرها أسود اللون دائمًا، ولم تصبغه باللون الأحمر إلا قبل شهرين.

شكره يسري، وأنهى الاتصال، ثم عاد إلى دفتر ملاحظاته، ليقرأ العبارة التي استوقفته في البداية، قبل أن يتمتم بحيرة: ولكن كيف؟

دارت في رأسه فكرة ما، فهز رأسه بقوة، وقال: هذا مستحيل.

حاول طرد الفكرة من رأسه، لكن دون جدوى، لم يجد لتلك العبارة الغامضة تفسيرًا آخر غير هذه الفكرة، فأرجع ظهره إلى الوراء وهو يعيد التفكير في كل الاحتمالات، قبل أن يعتـدل في مجلسـه فجـأة وهو يهتف: يا إلهي! هـل أخطأتُ منذ البدايـة؟ لماذا وضعتُ ذلك الافتراض دون أن أتحقق منه؟

مـدّ يده نحـو هاتفه مرة أخـرى، باحثًا عن رقم محـدد على الإنترنت، اتصـل بالرقم، وطلـب تحويله إلى الشـخص المطلوب، تحدث معـه لبضع دقائق، قبـل أن ينهي المكالمة، وهـو يطلـق زفرة عميقة من أعمق أعماق صدره، حملـت كل الارتياح، ثم انتقل إلى جهة الاتصال في الهاتف، ليتصل بالملازم أحمد، وما إن أتاه صوته حتى قال بانفعال: أحمد، أين أنتما الآن؟

جـاءه صـوت أحمد قائلًا: نحـن في طريقنا الآن إلى مركز الشرطة يا سـيادة النقيب... لقـد حققنـا مع محمود، وقد اعترف بلقائـهِ مع الصحفية، وكان هدفه مـن ذلك هو ثنيها عـن مواصلـة تحقيقِها الصحفي، لأنه خشي أن تثير هـذه القضية ضجة كبيرة، كما حدث من قبل، وتُلحق الضرر بالسيد كمال، ولكن...

قاطعـه يسري قائـلًا: هذا ليس مهمًا الآن أيها الملازم، أعتقد أنني كشـفت ملابسـات القضية.

رد أحمد بدهشة: ماذا؟! هل تعني أنك...؟

ارتسـمت على شـفتي يسري ابتسـامة انتصار، وهو يقـول بثقة: نعـم، وإذا كان ظني صحيحًا، فقد استطعت تحديد هوية الفاعل.

***

الاعتراف الأخير

«السيدة رنا هي الفاعلة؟!!»

نطق أحمد هذه العبارة بكل دهشة الدنيا، قبل أن يهز رأسه مستنكرًا، ويقول: كيف يا سيادة النقيب؟! إنها مريضة بالسرطان، ولديها حجة غياب قوية، إذ كانت بالمستشفى في ذلك الوقت، و...

كانا يتحدثان وهما يسيران بخطوات سريعة نحو مرآب مركز الشرطة، عندما قاطع يسري أحمد قائلًا: هل تأكدنا من ذلك؟

انعقد حاجبا أحمد وهو يقول مستغربًا: تأكدنا من ماذا؟! لقد رأيناها بأنفسنا في المستشفى!

فتح باب السيارة، واتخذ مجلسه خلف مقود القيادة، في حين جلس يسري بجانبه، وهو يقول بضيق: لقد خُدعنا أيها الملازم، أو بمعنى آخر نحن من رسمنا صورة خاطئة، ووضعنا افتراضات خاطئة من خلال ما سمعناه وشاهدناه.

انطلق أحمد بالسيارة قائلًا: أنا لا أفهم شيئًا يا سيادة النقيب.

فتح يسري علبة البيتزا، وأخرج قطعة منها قدمها لأحمد، قبل أن يقطع لنفسه قطعة أخرى، وهو يقول: سأوضح لك ما أعنيه أيها الملازم...

أخذ قضمة من قطعة البيتزا، وأردف: لقد أخبرنا السيد كمال أن والدته مريضة بالسرطان، وعندما ذهبنا إلى المستشفى تحققنا من صحة كلامه، لكن هل سألنا أنفسنا ما هي حالة السيدة رنا بالضبط؟ ومتى دخلت أصلًا إلى المستشفى؟

صمت أحمد برهة، ثم قال: أنت محق يا سيادة النقيب.

_ هناك جملة قالتها السيدة لينا في أثناء حديثها معنا بالأمس، لكننا لم ننتبه إليها في ذلك الحين، لقد قالت: " اتصل بي كمال وأخبرني بأن والدته ذهبتْ إلى المستشفى، وأنه لن يستطيع المجيء معها" هذا يعني أن السيدة رنا لم تكن تقيم بالمستشفى، كما ظننا.

صمت برهة ليقضم قطعة أخرى، قبل أن يستطرد: لقد أجريت اتصالاً بالمستشفى قبل قليل، وتحدثتُ مع الطبيب المعالج لها، وقد أكد لي أن مرض السرطان لديها في مراحله الأولى، وأنها قد دخلت إلى المستشفى في الساعة الثامنة، ولم يكن ذلك بسبب السرطان، وإنما بسبب ارتفاع حاد في ضغط الدم.

هتف أحمد بدهشة: ارتفاع في ضغط الدم!

_ نعم، وهذا يعني أنه لم يكن لديها حجة غياب وقت مقتل الصحفية.

_ لكن، ما الذي جعلك تعتقد أن السيدة رنا هي الفاعلة يا سيادة النقيب؟

_ هذا بسبب جملة قالتها عندما ذهبنا إليها في المستشفى، لقد وصفت ألفت بـ «الصحفية ذات الشعر الناري»، وعندما سألتها عما كانت قد قابلت الصحفية ألفت من قبل، أفادت بأنها التقت بها مرة واحدة عقب حادث سانت كاترين.

قطب أحمد حاجبيه، وسأل بحيرة: ما الغريب في ذلك يا سيادة النقيب؟

أخرج يسري منديلًا، مسح به يده، وقال: لقد شهد الصحفي رفعت تغيرًا ملحوظًا في سلوكيات طليقته بعد وفاة ابنتها، إذ صارت تظهر بإطلالات غريبة لم تكن معتادة عليها، مثل صبغ شعرها بألوان غير مألوفة، كان ذلك منذ عامين، مع العلم أن حادثة سانت كاترين وقعت قبل أكثر من ٣ سنوات، ثم إن الصحفية ألفت لم تصبغ شعرها أصلًا باللون الذي ادعت رنا رؤيته إلا منذ شهرين، وإذا أضفنا إلى ذلك أنه لم تُنشر للصحفية أي صورة ملونة من قبل، فهذا يعني أن السيدة رنا كاذبة، وأنها قد قابلت الصحفية مؤخرًا، وأخفت ذلك لسبب ما.

غمغم أحمد: يا إلهي!

هز يسري رأسه بسخرية مريرة، وقال: نحن لم نشك فيها للحظة واحدة أيها الملازم، وأنا واثق بأنه لم يتم أخذ بصماتها ومقارنتها مع البصمات التي وجدت على فستان الضحية.

أومأ أحمد برأسه، وقال بضيق: هذا صحيح.

صمت لحظة، ثم أردف: لكن هذا لا يجزم بأنها الفاعلة يا سيادة النقيب.

_ كما أخبرتك، هذا هو استنتاجي أيها الملازم، ونحن الآن في طريقنا إلى المستشفى لنتأكد منه.

في اللحظة التي وصلت فيها سيارة الضابطين إلى المستشفى، لفت انتباههما مشهد المدرب كمال ولينا يركضان بسرعة نحو البوابة، والفزع بادٍ على ملامحهما، فعبس أحمد، وقال بقلق: ماذا حدث؟

ترجل يسري من السيارة، وقال بترقب: سنعرف الآن.

ما إن دخلا إلى المستشفى حتى سمعا صوتًا مألوفًا يهتف: سيد يسري.

التفتا إلى مصدر الصوت، ليجدا الطبيب رائد الذي قابلاه في المرة السابقة، وقد شحب وجهه، وحملت ملامحه حزنًا عميقًا، فانعقد حاجبا يسري وقال: ماذا يجري؟

هز الطبيب رأسه بأسى وقال: لقد أصيبت السيدة رنا بجلطة في المخ.

تبادل الضابطان نظرة دهشة، ثم التفت يسري إلى الطبيب، وقبل أن يتمكن من نطق كلمة واحدة، أخرج الطبيب دفتر ملاحظات أسود اللون ومعه ظرفًا مخصصًا للرسائل، وسلمهما ليسري قائلًا بعجالة: لقد طلبت مني الطبيبة رنا أن أسلمك إياهما.

قالها، ثم غادر المكان مسرعًا، فالتفت أحمد إلى يسري الذي كان قد شرع في فتح دفتر الملاحظات، قائلًا بانفعال: أيعقل أنه...؟

أجابتـه الصفحة الأولى من الدفتر التي حملت صورة ألفت صابر مصحوبةً باسـمها، فقال يسري بحزم: إنه هو.

فتـح يسري الظرف بسرعة، وأخرج الرسـالة من داخله، وبسـطها أمام عينيه وعيني أحمد ليتشاركا معًا في قراءة كلماتها:

«سيد يسري، أعلم يقينًا أنك ستفترض قبل قراءتك لهذه الرسالة أنني القاتلة، وذلك بسـبب دفتر ملاحظات تلك الصحفية الحقيرة الذي تركته لك، لكني أقسـم لك بأنني لم أخطط لقتلها، ولم أسـعَ لذلك أبدًا، ولم أكن أنوي إيذائها بأي شـكل من الأشـكال، لذا أرجوك أن تقرأ رسالتي كاملة، لتعرف ما حدث في ذلك اليوم...

لقـد كانـت البداية عندمـا قرأت المقالة التـي كتبتها تلك الصحفيـة، زعمت فيها بأن لديها معلومات جديدة سـتعيد التحقيق في حادثة سـانت كاترين... لم أعلم طبيعة تلك المعلومات، وكنت واثقة بأنها معلومات زائفة، لأن ذلك الحادث المأساوي لم يكن لابني يـد فيـه، ومـع ذلك، كنـتُ أدركُ تمامًـا أنّ تلك الصحفية لـن تتوقف عن مطـاردة ابني، وستسـعى بكلّ ما أوتيت من قوة إلى تدميره بمقالاتها المسـمومة، بعد أن نجح في تجاوز تلك الفترة العصيبة، ولم أكن لأسمح بذلك أبدًا...

كنت أعلم أنها سـتتواصل مع ابني، وأنه سـيخفي عني ذلـك خوفًا على صحتي، لذا قمت بتحميل تطبيق على هاتفه يسـمح لي بالاستماع إلى مكالماته، وحدث ما توقعته، فقد أخذت تلك الصحفية الحقيرة تتصل به بشكل متكرر، لكنه تجاهل معظم مكالماتها...

خـلال تلك الفترة، حرصتُ على احترام خصوصية ابني، ولم أسـتمع أبدًا إلى مكالماته مـع خطيبته أو أصدقائه وزملائه، لكن في تلك الليلة التي سـبقت الحادثة، وجدت نفسي مدفوعة بقوة خفية للاستماع إلى مكالمة لينا مع ابني، وحدث ما كنت أخشاه، لقد تواصلت معهـا تلـك الصحفية لإجراء مقابلة صحفية، ورغم أن لينا أخذت تتوسـل إليها لتتركهما وشـأنهما، إلا أن تلـك الحقيرة لم يهتز لهـا جفن، وأصرت على المضيّ قدمًـا في تلك المقابلة، فما كان من لينا إلا أن لجأت إلى ابني باكية ليساعدها، ووعدها كمال بأنه سيحل المشكلة.

في صبـاح اليوم التالي، بادر ابنـي بالاتصال بتلك الصحفية، وحدد معها موعدًا للّقاء في منزله في السـاعة الثامنة مسـاءً، لأنه كان يعلم أني سأكون في ذلك الوقت في المستشفى لإجـراء بعـض الفحوصات... لم أتمكن من تحمّـل فكرة ترك ابنـي وخطيبته في مواجهة تلـك الصحفية الحقيرة، فقررتُ إلغاء موعدي مع المستشـفى، واتخاذ خطوات حاسـمة قبل أن تنجح في تدمير حياتهما.

لم أعلـم ماذا أفعل بالضبط، فكـرت في أن أذهب إليها في مقر الجريدة وأتحدث معها، لكني لم أرتح لتلك الفكرة، شعرتُ أنّها قد تُثير الضجة، وتسوء الأمور... فكرت كذلك في أن أقابلهـا في المنـزل، لكني كنت أعلم أن كمال لن يسـمح لي بذلك، وأخيرًا قررت أن أقابلها في الطريق المؤدي إلى المنزل.

انتظرتُها في ذلك الطريق قيد البناء، لم أكن أعرف ماذا سـأقول لها أو كيف سأتصرف، لكنّي كنت مصممة على حماية ابني، انتظرتها بفارغ الصبر حتى وصلت أخيرًا، ورغم أنها قـد تغـيرت كثيرًا عن آخر مرة رأيتها فيها، إلا أنني تعرفت عليها، حاولت الحديث معها وإقناعها بترك ابني وشـأنه، حتى إنني عرضت عليها مبلغًا كبيرًا من المال، لكنّها قابلت عرضي بسخرية، وأخبرتني بأنها لن تتوقف إلا على جثتها، بل وأخرجت دفتر ملاحظاتها مـن حقيبتها، وفتحته لتطلعني على مسـودة المقالة التي كتبتها عـن ابني وخطيبته، حيث تتهمهـما بالتعـاون معًا لقتل رامي... سـقطت الكلمات كالصواعق عـلى رأسي، وفقدتُ صوابي تمامًا، ولم أدرِ بنفسي إلا وأنا أنقض عليها محاولة انتزاع دفتر الملاحظات من يدها، فاندلـع شـجار قصير بيننا، انتهى بنجاحـي في أخذ دفتر الملاحظـات، لكني فوجئت بها تسـقط في قاعدة البناية... صدقني أنا لم أدفعهـا، ولم أكن أنوي إيذاءها أبدًا، لكن هذا ما حدث أقسم لك...

كنت أعلم بالتأكيد أنها لقيت مصرعها، فهرعت خارجة من المكان.

مـا إن خرجت من تلك المنطقة، حتى شـعرتُ بدوار شـديد، ووهنٍ في جسـدي، لم أعد قادرة على الوقوف على قدمي، لذلك اتصلتُ بالإسعاف على الفور، ونقلوني إلى المستشفى.

هـذا كل ما حدث يا سـيدي صدقني، لقد اعترفت لك لسـببين، أولهما أني أعلم أنك تشـك في ابني، لكني أقسـم لك أنه لا يد له مطلقًا فيما حدث، لم يكن على علم بأي شيء قمتُ به، ولم يُشارك في أيٍّ من تفاصيل ما جرى، وثانيهما ألا يُتهم شخص بريٍء في تلك الحادثة.

لقد طلبت من تلميذي أن يسـلمك هذه الرسالة مع دفتر ملاحظات تلك الصحفية، سأتحمّل مسؤولية أفعالي، لكني فقط أطلب منك ألا يصل الأمر إلى الإعلام، أريد لابني أن يحيـا حيـاة سـعيدة، لقد عانى كثـيرًا، وهو لا يسـتحق كل ذلك... لقد طـال أمد هذا الكابوس، وأنا أتوسل إليك أن تضع حدًا له، وشكرًا لك.

الطبيبة: **رنا فتحي**

أطلـق يسري زفـرة ملتهبة من أعمق أعماق صدره بعد أن أنهى قراءة الرسـالة، وكأنّه يُخرج عبئًا ثقيلًا كان يُثقل كاهله... لقد تمكن من حل القضية أخيرًا.

قال أحمد بصوت منفعل: لقد صدقت توقعاتك يا سيادة النقيب... إنها هي.

لم يكـد يتم عبارته، حتى سـمعا صرخة مدويـة تعرّفا فيها على صـوت لينا القادم من غرفة الطوارئ، فاندفعا على الفور إلى هناك، ليجدا الطبيب رائد أمامهما، وقد اغرورقت عيناه بالدموع، فقال يسري بقلق، ماذا حدث؟

صمت رائد لحظات، ثم قال بصوت مختنق مفعم بحزن عميق: لقد ماتت السيدة رنا.

***

بعد شهر...

جلـس النقيب يـسري في غرفة مكتبه يراجع بعض الملفات القديمة في ضجر واضح، وهو يمسـك بفنجان قهوته، يرتشف رشـفة تلو الأخرى، لكنها فشلت في طرد الشعور بالخمول الذي يسيطر عليه.

نهـض من كرسـيه، واتجـه إلى النافذة، انسـابت أفـكاره وهو يتطلع إلى الشـمس التي

ترسل خيوطها الذهبية الأخيرة التي تلون سماء القاهرة بلون برتقالي ساحر، قبل أن تغيب خلف الأفق.

اهتز هاتفه في جيبه فجأة، ليخرجه من شروده، فالتقطه ليجد رسالة واردة على تطبيق الواتس آب من رقم غير مسجل.

فتح الرسالة، ليطالع كلماتها: سيد يسري، كيف حالك؟ هل تذكرني؟ أنا الصحفي رفعت كريم... لقد اتبعت نصيحتك، وأعدت المحاولة مرة أخرى مع زوجتي السابقة، وها أنا ذا أزف إليك البشرى بقرب موعد عقد القران إن شاء الله، شكرًا جزيلًا لك.

شعر يسري بالسعادة تغمر كيانه، وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة، وسارع بكتابة رده: مبارك يا سيد رفعت... أرجو لك التوفيق في حياتك الجديدة.

أعاد يسري هاتفه إلى جيبه، وشعور بالامتنان يملأ قلبه... بينما كان ينظر إلى شمس الغروب، لم يرَ فيها نهاية يوم، بل بداية جديدة مشرقة، مليئة بالأمل والتفاؤل، تُبشّر بمستقبل مُشرق لهؤلاء الذين تعثر طريقهم طويلًا في الحياة قبل أن يجدوا طريقهم إلى السعادة.

***

تمت بحمد الله